
روايات مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جداً!!
120
الفارس الثاني
د. نبيل فاروق
Looloo
www.dvd4arab.com
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - دماء عَبْر الزمن ..

ران صمت تام داخل تلك القاعة الكبيرة ، فى مركز أبحاث الفضاء التابع لإدارة البحث العلمى ، على الرغم من وجود العلماء العشرة ، الذين انتشروا داخلها ، فى مواضع مختلفة ، وتركّزت عيونهم جميعًا على شاشة كبيرة ، تنقل إليهم مشهد مقاتلة فضائية ، تستقر على قاعدة إطلاق ، تميل بزاوية خمس وأربعين درجة ، والدخان يتصاعد من أنابيب العادم الخلفية بها ، على نحو يوحى باستعدادها للانطلاق ..

ثم بدأ العد التنازلى ..

واحتبست أنفاس العلماء العشرة ، وراحت قلوبهم تخفق فى قوة ، فى حين وقف الدكتور (ناظم) ، رئيس إدارة البحث العلمى وسطهم ، وهو يغمغم فى توتر بلا حدود :

- ترى هل ...

لم يتمّ تساؤله ، مع انفعاله الزائد ، وعيناه معلقتان بالمقاتلة ، وقلبه يخفق مع العد التنازلى المنتظم ، و ..

« سيادة القائد الأعلى ؟! »

انطلقت العبارة من بين شفتيه فى قوة ، عندما وقع بصره على القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، الذى دلف إلى القاعة فى خفة وصمت ، ووقف إلى جواره ، يتابع العد التنازلى بنفس التوتر والاهتمام ..

وفى بطء ، التفت إليه القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ هل تتوقَّع نجاح التجربة ؟!

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى صوت متوتر :

ـ لقد بذل الرجال قصارى جهدهم .

اكتفى القائد الأعلى بالجواب ، وعاد يراقب شاشة الرصد ، وعقله يسبح فى ذكريات قريبة ..

ذكريات تمتدَ إلى سنوات طوال .

عَبْر الزمن ..

لقد بدأ الأمر بتلك الشكوك ، التى أحاطت بالعضو الجديد فى فريق (نور) (طارق) .. ذلك العالم الشاب ، الذى أثار إعجاب الجميع ، وأبلى بلاءً حسنًا ، فى مغامرته الأولى مع الفريق(*) ..

(*) راجع قصة (العدو الخارق) .. المغامرة رقم (١١٥) .

ومع تلك الشكوك ، كان من الضرورى أن يقوم الفريق ببعض التحريات حول (طارق) ..

وفى سرية تامة ..

ولكن (طارق) كشف الأمر ..

ولم يعد هناك مفرّ من المواجهة ..

وبعد صراع عنيف ، تم إلقاء القبض على (طارق) ، بوساطة المخابرات العلمية المصرية ، فى نفس الوقت الذى أشعل فيه (أكرم) جهازًا خفيًا ، فى منزل (طارق) ، أدَّى إلى تشغيل مقاتلة زمنية رهيبة ..

وبينما يتم استجواب (طارق) ، فى مبنى إدارة البحث العلمى ، كانت المقاتلة تبدأ عدًّا تنازليًا للانطلاق ، وتدافع عن وجودها بمنتهى القوة والشراسة .

وكان اعتراف (طارق) مفاجأة مذهلة ..

لقد أخبرهم أنه مقاتل فضائى ، جاء من حضارة قديمة ، سبقت عصر الديناصورات بعدة أعوام ، وأنه تائه فى نهر الزمن ، لا يدرى كيف يعود إلى زمنه ..

ومع نهاية اعترافاته ، انطلقت المقاتلة تبحث عن الفارس ..

فارس الزمن ..

وتوالت الأحداث على نحو مخيف سريع ، حتى وجد (نور) و(أكرم) نفسيهما على متن المقاتلة الزمنية ، ينطلقان مع (طارق) عبر الفضاء ..

وعبر الزمن .. وهبطت بهم المقاتلة فى زمن قديم ..

زمن (أوروبا) ، إبان الحرب العالمية الثانية ..

وبالتحديد فى (باريس) ..

حيث يكمن أخطر وأقوى أعداء (نور) ..

الدكتور (خالد) ..

أو الجنرال النازى الرهيب (فريدريش هولدشتاين)[*] .

وانفتحت أبواب الجحيم عن آخرها ..

وبدأ قتال من نوع جديد ..

وعنيف ..

عبر الزمن ..

وعبر العصور ..

ووقع (أكرم) فى قبضة (هولدشتاين) ، وعندما حاول (نور) و (طارق) إنقاذه ، وقعا بدوريهما فى قبضة الشيطان ..

(*) راجع قصة (شيطان الأجيال) .. المغامرة رقم (٥٦) .

واشتعلت معركة رهيبة ، بين (نور) و (أكرم) و(طارق) ، ورجال المقاومة الفرنسية فى جانب ، والجنرال الشيطان فى جانب آخر ...

وبخطة محكمة ، نجح (نور) ورفاقه فى اقتحام بيت الثعالب ، مقر الجستابو والمخابرات النازية ..

ولكن (هولدشتاين) كانت لديه خطة ..

خطة شيطانية ..

أما فى عصرهم ، فقد بذل (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) كل طاقتهم ، مع فريق علماء إدارة البحث العلمى ، للبحث عن وسيلة لاستعادة (نور) و(أكرم) و(طارق) من فخهم الزمنى الرهيب ..

وتوصلت (سلوى) إلى نظرية مدهشة ، كشفت سر السفر عبر ثقوب الزمن ..

وبقى أن تجد وسيلة لاستغلال هذه النظرية على الوجه الأمثل ، لاستعادة الجميع ..

أية وسيلة ..

وكان من الضرورى أن يتمّ هذا فى زمن قياسى ..

هذا لو أنه هناك معنى للزمن ، فى موقف كهذا .

ففى (باريس) الماضى ، نجح الشيطان فى

الاختفاء مع (برجيت) ، زعيمة المقاومة الفرنسية ، والفتاة التى وقع (طارق) فى حبها ..

وثارت ثائرة (طارق) ..

واصطدم مع (آلان) ، رفيق (برجيت) ، الذى اتهمهم بالخيانة ، وأمر رجاله بالهجوم عليهم ، فانطلقت الرصاصات ..

وسالت الدماء ..

عبر الزمن(*) ..

« سيادة القائد الأعلى .. »

همس الدكتور (ناظم) بالنداء ، وعلى الرغم من هذا فقد سرت ارتجافة عنيفة فى جسد القائد الأعلى ، وهو يلتفت إليه بعينين متسائلتين ، فأردف مشيرًا بسبَّابته :

ـ ستنطلق المقاتلة التجريبية .

حبس القائد الأعلى أنفاسه ، وتوقَّف قلبه تقريبًا عن النبض ، وهو يتطلَّع إلى الشاشة بكل كيانه ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة السابقة (فارس الزمن) ، و(ألف عصر) ، و(زمن الدم) ، المغامرات أرقام (١١٧) ، (١١٨) ، (١١٩) .

إنها التجربة الأولى ، فى مشروع صنع مقاتلة زمنية مصرية ..

أوَّل مقاتلة زمنية فى التاريخ المعروف ..

بل هى الأمل ، فى استعادة (نور) ورفيقيه ..

الأمل الوحيد ..

ومع انتهاء العد التنازلى ، انتفضت قلوب الجميع فى عنف ..

وانطلقت المقاتلة ..

انطلقت بأقصى سرعة ، يسمح بها أفضل وأقوى وقود أمينى ، فى القرن الحادى والعشرين ..

ومع انطلاقها ، تفجَّر فى كل العقول سؤال واحد ..

ترى هل تنجح التجربة ؟!

هل ؟!

وتعلَّقت الأبصار كلها بالمقاتلة ، وهى ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

وعبر آلة تصوير دقيقة ، فى مقدِّمة المقاتلة ، شاهد الجميع السماء تقترب بسرعة مخيفة ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وغمغم الدكتور (ناظم) ، بكل انفعال الدنيا :
ـ المفترض أن تبلغ الثقوب الزمنية بعد سبع ثوان ، ثم ..
قبل أن يتمَّ عبارته ، دوت فرقعة قوية فى المكان ..
فرقعة كادت تصمَّ آذان الجميع ، من شدة قوتها ..
ثم اختفى كل شىء دفعة واحدة ..
ولم تعد الشاشة تنقل شيئًا ..
لقد تلاشت المقاتلة تمامًا ..
ولثوان ، غلَّف الصمت كل شىء ..
كل شىء بلا استثناء ، قبل أن تنطلق من أعمق أعماق القائد الأعلى زفرة كالحمم البركانية الملتهبة ..
زفرة تعنى أن الأمل فى استعادة (نور) ورفيقيه ، قد تلاشى مع المقاتلة ..
وضاع عبر السماء ..
وعبر الزمن ..

★ ★ ★

« أغبياء !.. أغبياء !.. »
صرخ (هولدشتاين) بالكلمة فى حنق عصبى ، وهو يدور فى وكره السرى كالذئب الجريح ، وعيناه

محمرتان كقطعتين من الجمر ، ثم لوَّح بذراعه فى حدة ، هاتفًا :
ـ لا يمكن أن يقتلوهم على هذا النحو .
ارتجفت الكلمات على شفتى (برجيت) ، وهى تقول :
ـ ماذا تعنى ؟! مَنْ قتل مَنْ ؟!
التفت إليها بحركة حادة ، قائلاً :
ـ رفاقك الأغبياء قتلوا رجال المستقبل .. أطلقوا عليهم النار ، بعد شجار سخيف .
امتقع وجهها بشدة ، وقالت :
ـ مستحيل ! مستحيل أن يفعل (آلان) هذا !! مستحيل !!
صاح فى وجهها ، وكأنه يحمّلها مسئولية ما حدث :
ـ ولكنه فعلها يا جميلتى .. زميلك المغوار التهبت أعصابه ، وفقد سيطرته عليها ، بعد أن فقد زميلته ومحبوبته ، وتصوَّر أن القادمين من المستقبل هم المسئولون عن هذا ، فأمر رجاله بإطلاق النار عليهم بلا رحمة .
ازداد وجهها امتقاعًا ، وتجلَّت عليه أسمى علامات

الذعر والفزع ، وانكمشت فى مكانها أكثر وأكثر ، وهى تقول فى عصبية :

ـ ولكن كيف أمكنك أن تعرف هذا ؟! إننا لم نغادر وكرك ، منذ نقلتنا إليه وسائلك الجهنمية !!

مال نحوها ، وعيناه تشتعلان غضبًا ، على نحو رهيب ، وهو يقول :

ـ بوسيلة جهنمية أخرى يا أميرة الحمقى .. شىء فى حجم رأس الدبوس ، غرسته فى فروة رأس فارسك ، عندما فقد وعيه ، وبوساطته يمكننى معرفة وسماع كل ما يحدث حوله ، دون أن أبرح مقعدى هذا .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وبدت فيهما أمارات عدم التصديق ، فتابع فى انفعال :

ـ أعلم أنك تعجزين عن استيعاب هذا يا جميلتى .. حتى أحفادك لن يمكنهم استيعابه فى سهولة ، وهذا ما يجعلنى متفوقًا عليكم جميعًا .

ثم اعتدل ، مستطردًا بلهجة شيطانية مخيفة :

ـ ويجعلنى قادرًا على تغيير التاريخ .

سرت فى جسدها ارتجافة خافتة ، وأطلَّ ذعر قوى

من عينيها ، حاولت أن تتغلَّب عليه ، وهى تقول فى عصبية :

ـ لست أصدِّق أن يفعل (آلان) هذا .

قال فى حدة :

ـ ولكنه فعله .

هتفت محنقة :

ـ مستحيل ! ربما بدا (آلان) عصبيًا سريع الانفعال ، إلا أننى لم أعهده يومًا أحمقَ أو تافهًا .. قد يتهم (نور) و(أكرم) و(طارق) بإفساد الأمور ، أو يحمِّلهم مسئولية فقدى ، إلا أن الأمر لن يبلغ منه مرحلة التهوُّر وفقدان العقل ، بحيث يقدم على قتلهم بهذا الأسلوب .

مطَّ شفتيه ، وهو يجلس أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به ، قائلاً :

ـ من الواضح أنك لا تعرفين زميلك (آلان) جيدًا .

هتفت :

ـ بل من الواضح أنك أنت تجهل الكثير عنه .. إنه لن يقتلهم على هذا النحو قط ، مهما بلغ غضبه أو ثورته .. على الأقل سيحاول استجوابهم أولاً ، ما دام يشكّ فى أمرهم .

انعقد حاجباه فى شدة ، وتوقَّفت أصابعه ، فى طريقها إلى أزرار الكمبيوتر ، وبدا لحظة وكأن كيانه كله قد تجمَّد ، فيما عدا حاجبيه ، اللذين التقيا فى بطء ، ليشتركا مع ملامحه ، فى منحه مظهرًا عجيبًا ، يوحى بانغماسه فى تفكير عميق ..

عميق ..

عميق ..

ثم ، وفى بطء شديد ، تمتم :

ـ لن يقتلهم .

لم تفهم (برجيت) ما يعنيه بهذا ، إلا أن اللهجة ، التى نطق بها الكلمة ، جعلتها ترتجف فى خوف شديد ، قبل أن تنكمش أكثر وأكثر فى مكانها ، فى حين نهض هو ، وراح يتحرَّك فى المكان فى بطء صامت هذه المرة ، قبل أن يتوقَّف ، ويكرِّر بنفس اللهجة المخيفة .

ـ لن يقتلهم .

نطقها هذه المرة ، ثم التفت إليها فى بطء ، وتألَّقت عيناه ، على نحو خفق له قلبها فى عنف ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا جميلتى .. أشكرك كثيرًا .

ثم غادر المكان كله ، وأطفأ الأنوار خلفه ، وتركها وحيدة ، مقيَّدة ، غارقة فى ظلام دامس ، وخوف كبير ..

خوف بلا حدود ..

★ ★ ★

لم يكن (كارل مانهايم) ، فى حياته كلها ، متوترًا وعصبيًّا ، مثلما كان فى ذلك اليوم ، وهو يدور فى أرجاء بيت الثعالب ، الذى تحوَّل إلى كتلة من التخريب والدمار ، حتى لقد بدا له أشبه بطعنة نجلاء ، فى أعمق أعماق الكيان النازى ..

وفى حدة شديدة ، صاح بأحد رجاله :

ـ هل أتممت الاتصال ؟! أريد إرسال برقية شفرية عاجلة إلى القيادة فى (برلين) .. هيا .

أجابه ضابط اللاسلكى فى توتر :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا يا سيِّدى ، ولكن الغارة ، التى قام بها رجال المقاومة ، أتلفت كل شىء .

صاح (كارل) فى غضب :

ـ ليس هذا من شأنى .. أصلح الأجهزة ، أو أحضر

أجهزة جديدة ، ولكن المهم أن أرسل تلك البرقية بأقصى سرعة .. هل تفهم ؟ بأقصى سرعة .. إنها برقية خطيرة .. خطيرة للغاية .

أتاه صوت صارم قاس ، يسأل :

ـ وما سبب خطورتها يا (كارل) ؟!

انتفض جسده كله فى عنف ، وهو يلتفت فى حدة إلى مصدر الصوت ، وحدّق لحظة فى وجه (هولدشتاين) ، قبل أن يعتدل فى حركة أكثر حدة ، ويضرب كعبيه ببعضهما فى قوة مبالغة ، وهو يفرد ذراعه عن آخرها ، ويبسط كفه ، هاتفًا :

ـ هايل (هتلر) .

كرّر (هولدشتاين) سؤاله ، بنفس الصوت الصارم القاسى :

ـ ما سبب خطورة تلك البرقية يا (كارل) ؟!

هتف (كارل) :

ـ أنت يا جنرال .

برقت عينا (هولدشتاين) ، وهو يقول فى شراسة :

ـ أنا ؟!

ارتبك (كارل) لحظة ، قبل أن يندفع ، قائلاً :

ـ لقد اختفيت تمامًا ، بعد تلك الغارة ، وكنت أنوى إبلاغ القيادة بهذا ، خشية أن يكون رجال المقاومة قد ...

قاطعه (هولدشتاين) فى صرامة :

ـ لم يعد هناك داع لإرسالها إذن .

عقد (كارل) حاجبيه فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد يا جنرال .. بالتأكيد .

رمقه (هولدشتاين) بنظرة صارمة طويلة ، وكأنما يغوص فى أعمق أعماقه ، قبل أن يدير عينيه فى المكان ، محاولاً رصد الخسائر ، فى ضوء النهار ، ويقول :

ـ أسوأ مما توقّعت .

ازدرد (كارل) لعابه ، قائلاً :

ـ الواقع يا جنرال أن ..

قاطعه (هولدشتاين) ، وكأنما لا يعنيه ما سيقوله :

ـ أريد عربة مصفّحة ، وفرقة من الرجال .

حدّق (كارل) فى وجهه بدهشة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابع ، وهو يستدير ، ويتجه إلى الخارج فى خطوات قوية ، عاقدًا كفيه خلف ظهره :

ـ سنشن هجومًا آخر على رجال المقاومة .

ارتفع حاجبا (كارل) ، من فرط الدهشة ، وهو يغمغم :

ـ رجال المقاومة ؟! وأين هم رجال المقاومة ؟!

توقَّف (هولدشتاين) ، والتفت إليه فى بطء ، قائلاً فى صرامة :

ـ لا تفكِّر يا (كارل) .. نفذ فقط ما أمرتك به .. العربة المصفَّحة والرجال .

ثم عاد يواصل خطواته القوية ، مستطردًا :

ـ وبأقصى سرعة .

راقبه (كارل) فى صمت ، وهو يغادر المكان ، ثم التفت إلى أحد ضباطه ، قائلاً فى حدة :

ـ نفذ ما أمر به الجنرال .

رفع الضابط يده بالتحية النازية ، وانصرف بسرعة لتنفيذ الأمر ، فى حين استدار (كارل) إلى ضابط الاتصالات ، وقال فى صرامة عصبية :

ـ هيا يا رجل .. استعد لإرسال تلك البرقية .

رفع الضابط عينيه إليه فى دهشة ، فأضاف فى صرامة أكثر :

ـ الآن .

ولم يدر الضابط ما يحدث حوله .

لم يدر أبدًا ..

★ ★ ★

« هنا يا جنرال .. »

أشار عميل فرنسى إلى مبنى صغير من طابقين ، يكاد يختفى وسط الحقول ، المحيطة بالعاصمة الفرنسية ، وهو يقول للجنرال (هولدشتاين) فى توتر :

ـ كل رجال المقاومة يختبئون هنا ، فى ذلك المبنى الصغير .. لقد رأيتهم بنفسى ، عندما تبعتهم ، طبقًا لأوامرك .

سأله (هولدشتاين) ، وهو يختبئ مع الجنود ، خلف مبنى آخر :

ـ وماذا عن الرصاصات ، التى انطلقت هنا ؟!

تلفَّت العميل حوله ، وكأنما يخشى أن يسمعه أحد قبل أن يهمس :

ـ لقد قتلوا بعض الخونة .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى صرامة غاضبة ، فأضاف الرجل فى سرعة :

ـ ثلاثة رجال .. لقد أطلقوا النار على ثلاثة رجال ، ثم حملوهم إلى الخارج ، وأشعلوا النار فى جثثهم ، قبل أن يدفنوهم هنا .

ازداد انعقاد حاجبى (هولدشتاين) على نحو مخيف ، حتى إن الرجل هتف مرتجفًا :

ـ هذا ما حدث بالضبط يا سيِّدى الجنرال .. أقسم لك .

تراجع (هولدشتاين) فى بطء ، حتى اعتدل ، وعقد كفيه خلف ظهره ، ثم قال فى صرامة :

ـ فليكن .

ودون أن يضيف حرفًا واحدًا ، أشار بسبَّابته يمينًا ، ثم يسارًا ، وإثر إشارته انقسم جنوده إلى قسمين ، تحرَّك أحدهما فى خفة نحو اليمين ، فى حين تحرَّك الفريق الآخر نحو اليسار ، وبدأت عملية التفاف ومحاصرة متقنة لذلك المبنى الصغير ، وراح (هولدشتاين) يتابع الموقف فى صمت ، حتى اتخذ الرجال مواقعهم ، ثم وثب إلى العربة المصفحة ، وهو يشير إلى العميل الفرنسى ، قائلاً :

ـ اتبعنا .

ارتجف الرجل ، وهو يتمتم :

ـ كما تأمر يا جنرال .. كما تأمر .

وبإشارة من (هولدشتاين) ، انطلقت المصفحة نحو المنزل مباشرة ، وارتفع من داخلها ، عبر مكبِّر صوتى قوى ، صوت يقول فى صرامة :

ـ إلى كل رجال المقاومة الفرنسية بالداخل .. نحن نعلم أنكم هنا ، والمكان محاصر تمامًا .. أخرجوا مرفوعى الأيدى ، أو نطلق النار بلا رحمة .. أكرِّر .

قبل أن يعيد العبارة ، انطلقت فجأة عدة رصاصات من داخل المبنى ، وارتطمت بجسم المصفحة بدوى عنيف ..

وما إن حدث هذا ، وقبل حتى أن يلقى (هولدشتاين) أوامره ، انطلقت رصاصات جنود النازى وقنابلهم ، نحو ذلك المنزل الصغير كالمطر ..

ولم يعترض (هولدشتاين) ..

لقد بقى ساكنًا صامتًا ، معقود الحاجبين ، يراقب الرصاصات والانفجارات ، وكأنما يتابع فيلمًا سينمائيًا جيِّدًا ..

ومع شدة نيرانهم ، اكتسب الجنود مزيدًا من الثقة ، واندفعوا يحاولون اقتحام المبنى ، و ..

وهنا هبّ (هولدشتاين) من مكانه ، هاتفًا بكل قوته ، عبر مكبّر الصوت :

ـ لا .. لا اقتحام .

تراجع الجنود فى دهشة ، وواصلوا إطلاق النار ، وإلقاء قنابلهم ، وهم يتساءلون فى حيرة عن السبب ، الذى دفع قائدهم لمنع اقتحام المبنى ، على الرغم من سيطرتهم التامة على الموقف ..

ولكن دهشتهم هذه لم تلبث أن استحالت إلى ذهول تام ، عندما رأوا (هولدشتاين) يثب خارج المصفحة ، ويتجه فى هدوء واثق نحو المبنى ، عاقدًا كفيه خلف ظهره ، وكأنما لا يشعر بذلك القتال العنيف من حوله ..

ولثوان ، توقّف الجنود عن إطلاق النار ، وراحوا يحدقون فى (هولدشتاين) ذاهلين ، وهو يواصل تقدّمه نحو المبنى ، حتى بلغ إحدى نوافذه ، فمال برأسه عبرها ، يلقى نظرة على المبنى من الداخل ، قبل أن يعتدل ، مغمغمًا فى حنق :

ـ كما توقّعت بالضبط .

احتبست أنفاس الجميع ، عندما وثب عبر النافذة

إلى الداخل ، واختفى هناك ، فهتف ضابط الجنود فى انفعال :

ـ أوقفوا إطلاق النار ، والحقوا بالقائد .

اندفع الجنود ينفذون الأمر ، فاقتحم بعضهم باب المبنى الرئيسى ، وقفز الآخرون عبر النوافذ ، ثم توقّف الجميع يحدّقون فى غطاء معدنى كبير ، فى أرضية الطابق الأرضى ، يقف إلى جواره (هولدشتاين) ، وهو يخلع قفازيه الجلديين ، قائلاً فى غضب :

ـ لقد أطلقوا رصاصاتهم الأولى ، ثم هربوا عبر سرداب سرى .

اندفع الضابط نحو السرداب ، هاتفًا :

ـ يمكننا اللحاق بهم يا جنرال .

تراجع (هولدشتاين) ، وهو يصيح به :

ـ احترس أيها الغبى .

ولكن عبارته انطلقت ، بعد أن جذب الضابط النازى الغطاء المعدنى بالفعل ..

وقفز (هولدشتاين) مبتعدًا ، بأقصى قوته ..

ودوى الانفجار ..

وعلى الرغم من قفزة (هولدشتاين) القوية ، إلا أن الانفجار دفعه أمامه فى عنف ، حتى ألقى به عبر النافذة ، فى حين أطاح بالضابط ، وبخمسة من الجنود ، وأصاب أكثر من سبعة آخرين ..

وبكل غضب الدنيا ، نهض (هولدشتاين) يهتف :

ـ الغبى .. كان ينبغى أن يدرك أن رجال المقاومة الفرنسية قد تركوا فخًا ما خلفهم .

كان الجنود يسرعون لإنقاذ وإسعاف المصابين ، وفحص القتلى منهم ، عندما اندفع هو نحو العميل الفرنسى ، وجذبه فى قسوة ، قائلاً :

ـ أين دفنوا جثث الرجال الثلاثة ؟!

ارتجفت أصابع الرجل ، وهو يشير إلى نقطة وسط المزروعات ، هاتفًا :

ـ هنا يا سيدى الجنرال .. هنا .

دفعه (هولدشتاين) أمامه فى قسوة ، حتى بلغا ذلك المكان ، ثم صاح به فى صرامة آمرة :

ـ قم بالحفر .

شحب وجه الفرنسى ، وارتجف جسده كله ، وهو يقول :

ـ ولكن .. ولكن يا جنرال .

صاح به :

ـ احفر .

سقط الرجل على ركبتيه ، من شدة الفزع ، وراح يحفر الأرض بيدين مرتجفتين ، ووجه شاحب ممتقع ، حتى ارتطمت يده بجسد بشرى محترق ، فوثب صارخًا فى ارتياع :

ـ يا إلهى !.. يا إلهى !

لطمه (هولدشتاين) على وجهه فى قوة ، صارخًا :

ـ واصل الحفر أيها الغبى .. هيا .

كاد العميل يفقد الوعى ، وهو يحفر ، ويحفر ويحفر ، ثم لم يلبث أن شعر بغثيان رهيب ، عندما برزت الجثث الثلاث المحترقة أمامه ، فتراجع ليفرغ ما بجوفه ، وهو ينتفض كقط مبتل ..

أما (هولدشتاين) ، فقد ركله جانبًا فى قسوة ، وانحنى يحدق فى الجثث الثلاثة ، هاتفًا :

ـ لا .. مستحيل أن يكونوا قد فعلوها .. مستحيل !

وعلى الرغم من بشاعة المشهد ، اندفعت يده تعبث فى الرءوس المحترقة ، ثم لم يلبث أن انتزع



كاد العميل يفقد الوعى ، وهو يحفر ، ويحفر ، ويحفر ،
ثم لم يلبث أن شعر بغثيان رهيب

من أحدها شيئًا صغيرًا ، فى حجم رأس الدبوس ، انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدِّق فيه ، ويضغط أسنانه ببعضها ، هاتفًا :

ـ اللعنة !

فقد كان جهاز التنصُّت الصغير ، الذى انتزعه من فروة الرأس المحترقة ، يثبت ، بما لا يدع مجالاً للشك ، أن هذه الجثث المحترقة الثلاث ، هى جثث الرجال الذين يبحث عنهم ..

رجال المستقبل .





٢ـ الضحـــايا ..

جلس القـائد الأعلـى للمخـابرات العلميـة صامتًـا مهمومًـا ، داخل حجرة مكتبـه الخاصـة ، يتطلَّع إلـى خريطـة بيضـاء كبيرة ، تمتلئ بثقوب سوداء ، إلـى جوار كل منها مجموعة من الرموز والأرقام الحمراء ، تشير إلى الزمن ، الذى يقود إليه كل ثقب ، فى حين راح الدكتور (ناظم) يرسم بيده بعض الخطوط فى الهواء ، وكأنما يحـاول الربـط بيـن بعـض الثقـوب السوداء والبعض الآخر ، قبل أن يعتدل ، قائلاً :

ـ يا للعبقرية ! من الواضح أن نظرية (سلوى) سليمة تمامًا .. لقد نجحت فـى صنـع أوَّل خريطـة لثقوب الزمن .

تنهَّد القائد الأعلى ، وهزَّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ وما الفائدة !

شعر الدكتور (ناظم) بغصَّة فى حلقه ، وهو يلتفت إليه ، فواصل فى حنق واضح ، وهو يعتدل فى مجلسه :

ـ لقد أصبحنا نمتلك أوَّل خريطة لثقوب الزمن ، ولكننا لا نمتلك وسيلة واحدة للسفر عبرها .

تمتم الدكتور (ناظم) :

ـ إنها مسألة وقت فحسب .

لوَّح القائد الأعلى بيده ، وهو يعود ليستند إلـى ظهر مقعده ، قائلاً فى سخرية مريرة :

ـ بالتأكيد .. إنها مسألة وقت .. أيام .. شهور .. أعوام .. قرون .. من يدرى .

تنهَّد الدكتور (ناظم) ، وقلب كفيه ، قائلاً :

ـ لقد بذلنا قصارى جهدنا ، واستخدمنا أفضل تقنية لدينا ، ولكن المشكلة تكمن فى الوقود .. من الواضح أن تلك المقاتلة الزمنية تستخدم وقودًا مدهشًا ، يفوق وقودنا الأمينى ، وهو أحدث ما توصَّلت إليه علومنا ، بعدة مرات ، مما يسمح لها بالانطلاق بسرعة رهيبة ، هى التى تدفعها إلى نهر الزمن .

قال القائد الأعلى فى عصبية :

ـ وإلى أن نتوصَّل إلـى ذلك الوقود العجيب ، فلا أمل فى نجاح تجاربنا ، ولن يمكننا أبدًا إنتاج مقاتلة زمنية ، وهذا يعنى فقدان الأمل فى استعادة (نور) ورفاقه .

مط الدكتور (ناظم) شفتيه ، وهزَّ رأسه فى أسى ، قائلاً :

- علماؤنا يدرسون الآن فكرة استخدام وقود خاص ، تم تطويره من أحد أنواع الوقود النووى ، وربما ..

قاطعه القائد الأعلى فى حدة :

- ربما ؟! الأمر لا يحتمل كلمة ربما هذه يا دكتور (ناظم) .. إننا نحتاج إلى وسيلة حازمة حاسمة ، وإلا أفلتت الأمور كلها من بين أصابعنا .

قال الدكتور (ناظم) فى دهشة :

- ولكنها مسألة وقت فحسب يا سيِّدى ، والزمن قد لا يعنى كثيرًا ، فى مثل هذه الأمور .

ثم لوَّح بسبَّابته ، مستطردًا :

- ولا تنس أننا نتحدَّث عن آلة زمن .

أشار إليه القائد الأعلى بسبَّابته ، قائلاً فى حدة :

- بل لا تنس أنت أننا نتحدَّث عن فارس الزمن الثانى .

بهت الدكتور (ناظم) للقول ، وتحرَّك على نحو حاد ، وكأنما باغتته العبارة ، وردَّد فى صوت عصبى :

- الفارس الثانى ؟!

أجابه القائد الأعلى :

- بالطبع يا رئيس مركز الأبحاث العلمية .. إننا لم نتوصَّل بعد للفارس الثانى ، الذى ما زال يعبث وسطنا ، ويسطو على معلوماتنا ، دون أن نعرف هويته أو هدفه .

قال الدكتور (ناظم) فى حذر :

- وما شأن استعادة (نور) ورفيقيه بهذا ؟!

لوَّح القائد الأعلى بكفه ، قائلاً :

- على الأقل يمكننا السيطرة على (طارق) ، فارس الزمن الأوَّل ، الذى سيقودنا حتمًا إلى الفارس الثانى .

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

- لست أظن هذا .

سأله القائد الأعلى فى دهشة :

- لست تظن ماذا ؟!

أجابه فى سرعة :

- لست أظن (طارق) يرشدنا إلى رفيقه ، مهما كان الثمن .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى توتر ، فتابع الدكتور (ناظم) بنفس الحزم :

- إنه شاب قوى الإرادة على نحو مدهش ، صلب كالفولاذ ، عنيد كألف ألف صخرة ، ثابت الأعصاب ، منيعها ، حتى إنه لن يخبرنا بأمر يرغب فى إخفائه ، مهما كان الأمر .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى في شدة ، ولوَّح بذراعيه معًا ، قائلاً :

- هذا يعنى أننا لم نتوصَّل إلى شىء .

أشار الدكتور (ناظم) بسبَّابته ، قائلاً :

- أو ربما أننا قد توصَّلنا إلى كل شىء .

سأله فى دهشة حذرة :

- ماذا تعنى ؟!

أشار الدكتور (ناظم) إلى خريطة ثقوب الزمن ، مجيبًا :

- لقد توصَّلنا إلى وسيلة السفر عبر الزمن ، وربما غيَّر هذا وجه التاريخ ، منذ لحظة الكشف .

تضاعف التساؤل ، المطلّ من عينى القائد الأعلى ، فتابع الدكتور (ناظم) ، فى شىء من الحماس :

- ولو أن الجزء الخاص بالضياع عبر الزمن ، فى قصة (طارق) حقيقى ، فهذا يعنى أننا قد منحناه كل

المعلومات الخاصة بثقوب الزمن ، وسنتركها له عبر العصور ، بحيث لن يضل طريقه بينها قط فى المستقبل .

ثم مال نحوه ، متابعًا بحماس أكثر :

- وبهذا لن يأتى إلى زمننا قط .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، محاولاً استيعاب هذه الفلسفة الزمنية المعقَّدة ، و ...

ولكن فجأة ، ارتفع أزيز هاتف الطوارئ الخاص ، على مكتب القائد الأعلى ، فوثبت يده تضغط زره ، وهو يقول فى توتر :

- ماذا هناك ؟!

اقترب منه الدكتور (ناظم) ، فى محاولة لسماع الرسالة ، وأقلقه ذلك التوتر الشديد ، الذى ارتسم على وجه القائد الأعلى وأطلّ من عينيه ، قبل أن ينهى الاتصال ، ويرفع عينيه إليه ، قائلاً فى انفعال :

- فارس الزمن الثانى اقتحم دائرة الأمن الخاص مرة أخرى .

سأله الدكتور (ناظم) فى ذعر :

- هل اقتحم شبكة المعلومات الأمنية ثانية ؟!

هزَّ القائد الأعلى رأسه فى قوة ، قائلاً :

- بل أكثر خطورة .

وارتجفت الكلمات على شفتيه ، من فرط الانفعال ، وهو يضيف :

- لقد اخترق شبكة المعلومات بالغة السرية ، لمؤسسة الرياسة نفسها .

وانتفض جسد الدكتور (ناظم) ..

بل انتفضت كل خلية منه ..

وبمنتهى العنف ..

★ ★ ★

ارتجفت أصابع الطبيب الشرعى الفرنسى ، وهو ينهى عمله مع آخر الجثث المحترقة ، واختلس نظرة جانبية للجنرال (هولدشتاين) ، قبل أن يقول :

- لا شىء .

صاح به (هولدشتاين) فى غضب :

- ماذا تعنى بكلمة (لا شىء) هذه ؟! لا بد أنه هناك شىء ما حتمًا .

أجابه الطبيب فى خوف :

- بالتأكيد يا جنرال .. لقد عرفنا سبب وفاة الرجال الثلاثة ، فقد قتلتهم رصاصات مدافع آلية ، وتم حرق جثثهم بعد الوفاة ، و ...

قاطعه (هولدشتاين) فى حدة :

- ليس هذا ما أقصده أيها الغبى .. إننى أتحدَّث عن أشياء مجهولة داخل الجثث .. قطع معدنية .. آلات دقيقة .. أى شىء .

قلب الطبيب كفيه مرتجفًا ، وهو يقول :

- لم نعثر على أى شىء من هذا يا سيِّدى الجنرال .. لقد حضرت العمل كله بنفسك .

بدت له ملامح (هولدشتاين) الغاضبة مخيفة ، على نحو جعله يهتف :

- أقسم لك إننا ....

قاطعه (هولدشتاين) بإشارة صارمة من يده :

- اصمت .

نطقها بلهجة رهيبة ، انعقد لها لسان الطبيب فى حلقه ، فى حين شرد (هولدشتاين) ببصره ، دون أن تفقد ملامحه صرامتها ، أو تتغيَّر وقفته العسكرية الصارمة ..

ما الذى يعنيه كل هذا ؟!

كيف يمكن أن يقتل رجال المقاومة الفرنسية (نور) و(أكرم) ، و(طارق) على هذا النحو ؟!

ولماذا أحرقوا الجثث ؟!

لماذا ؟!

ثم كيف لا يحتفظ (طارق) هذا بأى شىء يمكن أن يقوده إلى مقاتلة الزمن ؟!

ترى هل استولى رجال المقاومة الفرنسية على كل ما كان معه ؟!

هل أصبحت وسيلة العثور على آلة الزمن فى قبضتهم ؟!

هل ؟!

عشرات الأسئلة والأفكار راحت تدور فى عقله ، وتنسج خيوطًا وتغزلها ، ثم تصنع منها ثوبًا من الأجوبة ، لم يستطع مخه ارتداءه فى سهولة ..

وكان واثقًا من أنه هناك نقطة غائبة ..

نقطة ما ، يمكن أن تربط كل ما حدث ببعضه .

نقطة حاسمة ..

باترة ..

« سيدى الجنرال .. هل ننصرف ؟! »

انتزعه سؤال الطبيب الفرنسى من أفكاره ، فالتفت

إليه بحركة صارمة ، وتطلع إليه لحظات فى صمت ، وعلى نحو خُيِّل معه للطبيب المسكين أنه سيأمر بإعدامه ، قبل أن يقول فى بطء مخيف :

- ليس بعد .

أشار الطبيب بأصابع مرتجفة ، قائلاً :

- ولكننا انتهينا من عملنا ، و ...

قاطعه بنفس البطء المخيف :

- ما زال هناك أمر ، أرغب فى معرفته .

سأله الطبيب الشرعى فى قلق وحذر :

- أىّ أمر ؟!

تألقت عينا (هولدشتاين) على نحو جفت له الدماء فى عروق الطبيب ، وهو يقول فى اقتضاب شديد :

- سأخبرك .

ثم قبضت أصابعه الفولاذية على ذراع الرجل ، ودفعه فى قسوة نحو الجثث المحترقة ، وفى رأسه فكرة تشتعل ..

تشتعل كألف بركان ثائر ..

★ ★ ★

« وجدتها .. »

هتفت (سلوى) بالكلمة فى لهفة ، انتزعت (رمزى) من سباته ، وجعلته يقفز من مقعده ، ويندفع نحوها ، هاتفًا بدوره :

ـ هل توصلّت إلى الوسيلة ؟!

وكاد قلب (نشوى) يثب من صدرها ، وهى تصيح :

ـ أماه .. أخبرينى ما توصلّت إليه .

أجابتها (سلوى) فى انفعال جارف :

ـ تلك الذبذبة ، التى يتميَّز بها كل ثقب ، هى التى ستساعدنا على استعادة (نور) و(أكرم) و(طارق) .

سألتها (نشوى) فى لهفة شديدة :

ـ كيف ؟!

اختنقت الكلمات فى حلق (سلوى) ، من فرط الانفعال ، وهى تشير إلى شاشة الكمبيوتر ، فربَّت (رمزى) على ظهرها فى رفق ، قائلاً :

ـ رويدك يا (سلوى) .. رويدك .. التقطى أنفاسك أولاً .

التقطت أنفاسها بالفعل ، قبل أن تقول بصوت لاهث :

ـ على الرغم من أن لكل ثقب من تلك الثقوب ، ذبذبته الخاصة ، إلا أن كل الذبذبات تدخل تحت نطاق واحد ، مما يمنحها ذلك اللون الأسود المميَّز ، ولكن ماذا لو أننا تدخَّلنا بذبذبة خاصة ، يتم إطلاقها بمنتهى القوة ، وعلى نطاق واسع للغاية ، بحيث يمكنها تغيير لون الثقب الخاص بزمننا .

سألها (رمزى) فى دهشة :

ـ أهذا ممكن ؟!

أجابته بنفس الانفعال ، وأصابعها تجرى على أزرار الكمبيوتر :

ـ لقد طرحت الاحتمال على الكمبيوتر ، وها هى ذى النتيجة .

وبضغطة زر أخيرة ، راح أحد الثقوب على الشاشة يتلوَّن ، من الأسود إلى الأزرق الداكن ، ثم البنفسجى فالأحمر ..

وفى انبهار ، حدَّق (رمزى) و (نشوى) فى ذلك الثقب الأحمر ، الذى بدا شديد التميُّز ، وسط الفراغ الأبيض ، وكل الثقوب السوداء المنتشرة فيه ، ثم هتفت الأخيرة ، بصوت ينافس صوت أمِّها انفعالاً :

- هل سيبدو بهذا اللون ، داخل الفراغ الزمنى ؟!
أومأت (سلوى) برأسها فى حرارة ، قائلة :
- دون أدنى شك ..
ثم ازدردت لعابها ، فى محاولة للسيطرة على انفعالها ، قبل أن تتابع فى حماس :
- لن يختلف لونه عن الثقوب الأخرى فحسب ، بل وستنبعث منه ذبذبة خاصة للغاية ، يمكن للمقاتلة الفضائية التقاطها .
سألها (رمزى) ، فى شىء من الحذر :
- هل تعتقدين أنهم سيفهمون ما يعنيه هذا ؟!
ارتفع رأسها فى اعتداد ، وهى تجيب :
- ليس لدى أدنى شك فى ذكاء (نور) .
انفرجت شفتاه ، وكأنه سيقول شيئًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبقهما ، وأومأ برأسه ، قائلاً :
- بالتأكيد .
عادت (سلوى) تشير إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :
- ما إن يلمح (نور) ذلك الثقب الأحمر ، حتى ينتبه إلى تلك الذبذبة الخاصة ، المنبعثة منه ،

وسيدرك على الفور أنها رسالة خاصة ، وأننا وراء ذلك التغيير ، و ...
بترت عبارتها بغتة ، مع تلك النظرة المطلّة من عينيه ، ثم سألته فى توتّر :
- ماذا هناك يا (رمزى) ؟!
رسم على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يقول :
- لا شىء يا (سلوى) .. لاشىء ..
لم يقل سوى هذه الكلمات القليلة ..
ولكنها فهمت ..
فهمت ما يعنيه بالضبط ..
فقد كان هذا هو نفس ما جال بخاطرها ، عندما رأت تلك النظرة المطلّة من عينيه ..
من المؤكد أن (نور) سيفهم طبيعة الثقب الأحمر على الفور ..
وأنه سيستخدمه للعودة إلى زمنه ، مع (أكرم) و(طارق) ..
ولكن بشرط واحد ..
أن يكونوا على قيد الحياة ..
فى مجرى الزمن ..

★ ★ ★

كانت الشمس فى بداية طريقها إلى رحلة الغروب ، فى تلك البقعة ، عند مشارف (باريس) ، عندما توقفت سيارة الجنرال (هولدشتاين) أمام ذلك المنزل القديم ، وقال سائقها فى احترام بالغ :

- وصلنا يا سيِّدى الجنرال .

غادر (هولدشتاين) السيَّارة فى هدوء ، والتفت إلى السائق ، قائلاً فى صرامة :

- لا تسمح لأحد بالدخول ، مهما كانت الأسباب .. هل تفهم ؟!

أجابه السائق فى سرعة :

- بالتأكيد يا سيِّدى الجنرال .. بالتأكيد .

رمقه (هولدشتاين) بنظرة صارمة أخرى ، قبل أن يتجه إلى وكره ..

وفى دقة ، كالمعتاد ، تجاوز كل النظم الأمنية السرية ، حتى بلغ مكتبه الخاص ، الذى يحوى كل أدواته وأجهزته ، والذى ترك فيه (برجيت) ، التى لم يكد الضوء يسطع أمام عينيها ، حتى هتفت فى سخط :

- اللعنة ! كيف تركتنى طوال اليوم هكذا ؟!

صاح بها فى غلظة :

- اصمتى أيتها اللعينة .

قالت فى عناد عصبى :

- وماذا لو لم أفعل ؟!

انتزع مسدسه من غمده ، قائلاً فى شراسة :

- سأجبرك على هذا .

صمتت لحظة ، جلس خلالها أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به ، ثم لم تلبث أن قالت فى حدة :

- ليس من الشجاعة والشهامة أن تعامل امرأة مقيَّدة بهذه القسوة .

أجابها فى صرامة ، دون أن يلتفت إليها ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده :

- ومن تحدَّث عن الشجاعة والشهامة ؟! هذه صفات الحمقى ، الذين تكتظ بهم القبور ، أما العباقرة أمثالى ، فهم الذين يرثون الأرض ومن عليها فى النهاية .

احتقن وجهها ، وهى تهتف :

- سترى أيها الوغد .. من يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا .

ابتسم فى سخرية ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة ساخرة ، قائلاً :

- بالتأكيد .

ثم التفت إليها ، مستطردًا :

- وهذا ما فعلته ، أمام قبر فارسك الزمنى المغوار .. لقد أطلقت ضحكة ساخرة .

شحب وجهها فى ارتياع ، وهو يميل نحوها ، مضيفًا فى سخرية شرسة :

- وأخيرة .

لم يكد ينطقها ، حتى ارتفع فجأة أزيز خاص ، داخل الحجرة ، فاعتدل بحركة حادة عصبية ، قائلاً :

- اللعنة ! تُرى ماذا ..

كانت يده تندفع نحو مسدسه ، عندما اقتحم شخص ما المكان فجأة ، وهو يهتف :

- إياك أن تلمسه .

انتفض جسد (برجيت) فى عنف ، وهى تهتف :

- (أكرم) ؟!

أجابها (أكرم) ، وهو يقترب من (هولدشتاين) فى حذر ، مصوبًا إليه مسدسه التقليدى فى تحفز :

- نعم .. هو أنا يا (برجيت) .

ثم ابتسم فى سخرية شامتة ، وهو يستطرد ، متطلعًا إلى (هولدشتاين) :

- مفاجأة ! أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا (هولدشتاين) دون أن ينبس ببنت شفة ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها (نور) من خلف (أكرم) ، ثم اندفع من خلفه (طارق) ، نحو (برجيت) مباشرة ، وهو يهتف :

- (برجيت) .. أأنت بخير ؟!

ترقرقت عيناها بالدمع ، من فرط التأثر ، ولم تستطع نطق حرف واحد ، فى حين أخذ هو يحلّ وثاقها ، و(نور) يقول لـ (هولدشتاين) :

- هل تدهشك رؤيتنا يا دكتور (خالد) ؟!

هزّ (هولدشتاين) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يقول :

- ليس كثيرًا .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- لقد كشفنا أمر جهاز التنصت الدقيق ، الذى زرعته فى فروة رأس (طارق) ، ولهذا أدينا تلك التمثيلية الهزلية ، مع رجال المقاومة ، ونحن واثقون

من أنك تسمع كل ما يدور بيننا ، وأقنعناك بأننا قد لقينا مصرعنا ، وقام رجال المقاومة بإشعال النيران فى جثث ثلاثة من قتلاكم ، بعد أن غرسنا جهاز التنصت فى فروة رأس أحدهم .

غمغمت (برجيت) :

- يا للبشاعة !

ربّت (طارق) على كتفها مهدئًا ، فى حين قال (أكرم) فى استهتار :

- لا يضير الشاة سلخها بعد ذبحها .

لم يتوقَّف (نور) عند عبارتى (برجيت) و(أكرم) ، وتابع موجِّهًا حديثه إلى (هولدشتاين) ، الذى لاذ بالصمت التام :

- كنا نعلم أن مصرعنا سيثير جنونك ، وأنك ستسعى للبحث عن جثثنا ، مما يخرجك من وكرك ، فتقودنا إليه عند عودتك ، بحثًا عن وسيلة للعثور على مقاتلة الزمن .

ثم عقد ذراعيه أمام وسطه ، مستطردًا :

- وهذا ما حدث .

صمت (هولدشتاين) بضع لحظات ، ثم قال فى بطء :

- هذا لم يدهشنى كثيرًا .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم :

- بل يمكنك أن تقول : إننى كنت أتوقَّعه .

بدا القلق على وجه (طارق) ، واقتربت منه (برجيت) فى حركة آلية ، وكأنها تحتمى به ، وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين لوَّح (أكرم) بمسدَّسه فى عصبية ، قائلاً :

- تتوقَّعه ؟! أى قول أحمق هذا يا رجل ؟! إنك تكره الاعتراف بالحقيقة .. هيا .. قلها يا رجل .. قلها .. لقد خسرت معركتك .

ابتسم (هولدشتاين) فى سخرية ، قائلاً :

- هل تعتقد هذا ؟!

ومع قوله ، رفع يده ، وطرقع سبَّابته وإبهامه .

وفجأة ، تألَّقت أسطوانة وهمية حول الرفاق الثلاثة و(برجيت) ، فصاح (أكرم) فى غضب ، وهو يطلق رصاصات مسدسه نحو (هولدشتاين) :

- أيها الوغد .

ارتطمت الرصاصات بجدار الأسطوانة المتألِّقة ، فتلاشت على الفور ، و (هولدشتاين) يقول ساخرًا :

- ألم أقل لكم ؟! لقد كنت أنتظركم فى الواقع .

نطقها ، ثم تحوّلت ابتسامته الساخرة إلى ضحكة قوية مجلجلة ..

ضحكة شيطان .







نطقها ، ثم تحوّلت ابتسامته الساخرة إلى ضحكة قوية مجلجلة .. ضحكة شيطان

٢ - الشيطـان ..

بدا الاهتمام واضحًا للغاية ، على وجه الدكتورة (إلهام) ، وهى تراجع البيانات ، الخاصة بكل العاملين فى إدارة الأبحاث العلمية ، قبل أن تهزّ رأسها ، قائلة للدكتور (ناظم) :

- لا أحد منهم .

أطلّ التوتر واضحًا ، فى عينى الدكتور (ناظم) وصوته ، وهو يقول :

- حاولى مرة أخرى .

لوّحتِ بيدها ، قائلة فى حزم :

- لقد حاولت مرتين ، وهذا يكفى .

تراجع فى مقعده يائسًا ، وهو يقول :

- ولكن هذا مستحيل ! فارس الزمن الثانى حقيقة لاشك فيها .. لقد اخترق شبكة أمن الرياسة الخاصة .

ارتفع حاجباها ، وهى تقول :

- شبكة أمن الرياسة ؟! يا إلهى ! يبدو أنه شخص عبقرى للغاية ، فكلنا نعلم أن شبكة الأمن الخاصة

بالرياسة تعتمد على نظام محكم للغاية ، لا يمكن حتى لخبراء الكمبيوتر اختراقه ، دون معرفة أرقام الكود السرية ، ذات النظام الثمانى المزدوج .

لوّح بسبّابته ، قائلاً :

- ولكنه اخترقها .

أومأت برأسها متفهّمة فى تأثُّر ، قبل أن تميل نحوه ، وتسأله فى اهتمام :

- هل يمكننى معرفة نوع المعلومات ، التى سعى إليها بالضبط ؟

تنهّد ، مجيبًا :

- معلومات فلكية كالمعتاد .

انعقد حاجباها ، وهى تقول :

- تُرى ما الذى يسعى لمعرفته بالضبط ؟!

أجاب بسرعة :

- (طارق) حاول أن يوهمنا أنه يرصد مواضع النجوم ، لتحديد موقع عصرنا من عصره ، ولكن (سلوى) كشفت أمره ، وأثبتت أنه قادم من المستقبل ، وليس من حضارة سابقة كما ادّعى ، وهذا يعنى أن هناك هدفًا آخر ، لسعيه خلف تلك المعلومات الفلكية الخاصة .

تراجعت فى مقعدها ، تسأله :
- مثل ماذا ؟!
هزَّ رأسه ، قائلاً :
- من يدرى ؟!
ثم عاد يميل نحو الكمبيوتر ، مستطردًا :
- ألا يمكنك المحاولة مرة أخرى ؟!
هزَّت رأسها نفيًا ، وقالت :
- لا فائدة .
انعقد حاجباه فى حنق ، وهتف :
- لا بد أن هناك وسيلة أخرى .. لا بد .
غرقت ملامحها فى تفكير عميق لبضع لحظات ، قبل أن تقول :
- ربما كانت هناك وسيلة أخرى بالفعل .
هتف فى لهفة :
- وما هى ؟!
أشارت بسبَّابتها ، مجيبة :
- البصمة الجينية .
انعقد حاجباه فى انفعال ، وهو يكرِّر :
- البصمة الجينية ؟!

أجابته فى سرعة وحماس :
- بالتأكيد .. التفاعلات الحيوية للبشر لن تختلف كثيرًا ، من زمن إلى آخر ، ولكن البصمات الجينية سيوجد بها اختلاف ما حتمًا ، مع تغيُّر العوامل المناخية والوراثية بمرور الزمن .
قال فى حيرة :
- ولكن هذا الاختلاف سيكون ضئيلاً للغاية ، كما أننا لا نستطيع استنباطه إلا بدراسة طويلة معقَّدة ، قد تستغرق عدة أشهر .
قالت بنفس الحماس :
- ليس إذا درسنا العينة، التى حصلنا عليها من (طارق) .
هتف ، وقد انتقل إليه حماسها :
- بالتأكيد .. المفترض أنه ، وفارس الزمن الثانى ، ينتميان إلى حقبة زمنية واحدة ، ولو أنه هناك تغيرات فى بصمة (طارق) الجينية ، فستكون قد حدثت بفعل نفس العوامل ، التى تعرَّض لها فارس الزمن الثانى .. صحيح أن هذا الأمر كان من المستحيل كشفه ، حتى نهايات القرن العشرين ،

ولكن الكمبيوتر فى هذا العصر ، يمكنه إنجاز الأمر ، خلال ساعات معدودة .

هتفت بدورها .

- بالضبط .

التقط الدكتور (ناظم) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى ارتياح :

- فكرة معقّدة ، ولكنها جديدة ومفيدة ، وربما تكشف أمر فارس الزمن الثانى بالفعل يا (إلهام) .. أهنئك .

رفعت كتفها وخفضته ، وهى تبتسم ، قائلة :

- أشكرك .

اندفع نحو الباب ، هاتفًا فى حماس :

- سأبدأ على الفور .

أشارت بيدها ، قائلة :

- وفقّك الله .

غادر معملها فى سرعة ، والحماس يتفجّر من كل خلية من خلاياه ، فى حين بدت هى هادئة مبتسمة ، وهى تتطلع إلى الباب ، الذى أغلقه خلفه ، ثم لم تلبث أن شبكت أصابع كفيها أمام وجهها ، وغمغمت :

- عظيم .. كل شىء يسير على ما يرام .. كل شىء .

نطقتها ، والابتسامة على شفتيها تتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

* * *

تحرّك (كارل مانهايم) فى توتر ملحوظ ، عند ذلك المطار الحربى الصغير ، خارج العاصمة (باريس) ، وعيناه معلقتان بالسماء ، التى انتشرت فيها سحب داكنة ، تلوّنت أطرافها بحمرة الشمس ، التى شارفت الغروب ، وكأنه فى انتظار شىء ما ، فى اهتمام بالغ ، حتى إن طاقم الحراسة المصاحب له ، والذى وقف إلى جوار سيارتى (الجيب) العسكريتين ، التزم الصمت بدوره ، ولم يجرؤ أى فرد منه على النطق بحرف واحد ، خشية أن يستفز ضابط الجستابو الرهيب ، فيفرغ فيه توتره وثورته ..

ثم فجأة ، انتفض جسد (كارل) ، وهو يشير إلى السماء ، قائلاً فى انفعال :

- لقد وصل .

اعتدل رجال الطاقم ، فى وقفة عسكرية صارمة ، وتعلّقت عيونهم بطائرة صغيرة ، تتجه نحو المطار

مباشرة ، ولم ينبس أحدهم بحرف واحد ، حتى هبطت الطائرة ، واستقرَّت على أرض المطار ، فاندفعوا نحوها ، وتفجَّرت من حلوقهم التحية النازية ، عندما برز من الطائرة رجل مألوف ، أسرع إليه (كارل) ، هاتفًا :

- هايل (هتلر) .. مرحبًا بك فى (باريس) النازية يا هر (هملر) .

رمقه (هملر) ، قائد (الجستابو) بنظرة صارمة ، قبل أن يغادر الطائرة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، قائلا :

- أتعشَّم أن تكون لديك أدلَّة كافية يا (كارل) ، بشأن تلك التهمة البالغة الخطورة ، التى أبلغتنا إياها .

ازدرد (كارل) لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :

- عندما أطرح الأمر كله أمامك ، ستدرك مدى خطورته يا سيِّدى الجنرال .

مطَّ (هملر) شفتيه ، وقال ، وهو يسير نحو السيارة الفاخرة السوداء ، التى تنتظره ، بين سيارتى الجيب والدراجات البخارية :

- البرقية التى أرسلتها كانت من الخطورة ، حتى

إنها أقلقت الفوهلر نفسه ، فأمر بالتحقيق فى الأمر علي الفور ، وطلب منى القدوم بنفسى إلى هنا ، وتولى القضية بصفة شخصية .

غمغم (كارل) :

- هذا أفضل يا سيِّدى الجنرال .. أفضل كثيرًا .

استقلَّ (هملر) السيارة ، وجلس (كارل) إلى جواره ، مستطردًا :

- لقد بدأ الأمر كله ، بعد أن ألقينا القبض على ثلاثة من الجواسيس ، عقب ظهور مقاتلة عجيبة فى سماء (باريس) .

التفت إليه (هملر) بحركة حادة ، قائلاً :

- جواسيس ؟! مقاتلة عجيبة ؟! متى حدث هذا ؟!

أشار (كارل) بأصابعه ، مجيبًا :

- منذ يومين كاملين يا سيِّدى .. فى الثانية عشرة من ظهر الغد ، تكون قد مضت ثلاثة أيام .

احتقن وجه (هملر) فى شدة ، وهو يقول :

- يومان كاملان ؟! يومان ونصف اليوم تقريبًا ، لو شئت الدقة يا رجل ، دون أن يبلغنا أحد بالأمر !! هل جننتم هنا ؟! إنه أمر بالغ الخطورة ! ماذا لو أن تلك المقاتلة العجيبة اختراع حديث للحلفاء ؟!

غمغم (كارل) فى اضطراب :

- هذا احتمال وارد يا سيِّدى الجنرال .

صاح به (هملر) فى غضب ، والقافلة تبدأ تحرُكها :

- احتمال وارد ؟! بل هو الاحتمال الأكبر يا رجل .. ماذا دهاكم ؟! إنها أولويات العمل ، طبقًا لكل القواعد والأوامر .

وافقه (كارل) بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا سيِّدى .. بالتأكيد ، ولكن ..

قاطعه (هملر) فى حدة :

- وأين تلك المقاتلة العجيبة ؟! هل أسقطتموها أم ماذا ؟! وأين احتفظتم بها ؟! ما شكلها ؟! ما نوع محركاتها ؟!

ازدرد (كارل) لعابه مرة أخرى ، فى صعوبة بالغة ، وهو يجيب :

- احم .. الواقع أننا لم نعثر على أدنى أثر لها ، و ..

صرخ (هملر) :

- لم تعثروا عليها ؟!

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مع انعقاد ساعديه أمام صدره ، وهو يستطرد فى صرامة شديدة :

- يبدو أن الأمور تحتاج بالفعل إلى تحقيق واسع .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف فى غضب :

- وصارم .. صارم للغاية .

وبعدها لم ينطق بكلمة واحدة طوال الطريق .. قط ..

★ ★ ★

ارتجف جسد (برجيت) فى عنف ، مع تلك الضحكة الشيطانية الساخرة ، الشامتة ، الظافرة ، التى انطلقت من بين شفتى (هولدشتاين) ، قبل أن ينهض ، قائلاً :

- خطتكم كانت متقنة للغاية ، وكان من الممكن أن تنجح فى خداعى ، لولا أننى شخص شديد الشك والحذر بطبعى ، كما أننى أتميَّز بعبقرية فريدة ، اعترفت بها كل العصور ، التى ذهبت إليها(*) .

واقترب فى شماتة من الأسطوانة العازلة ، مستطردًا :

- لقد أديتم أدواركم بدقة مدهشة ، حتى لقد صدَّقت أن (طارق) الهادئ الرصين قد فقد أعصابه بالفعل ، واشتبك مع (آلان) ورجال المقاومة ، مما اضطرهم

(*) راجع قصة (عبر العصور) .. المغامرة رقم (٥٤) .

لقتلكم جميعًا ، ولكن كلمات جميلتكم (برجيت) ، حول الفارق بين فقدان الأعصاب وفقدان العقل ، جعلنى أعيد التفكير فى الأمر مليًا .. صحيح أن أحدكم قد يفقد أعصابه ، مع الضغوط العنيفة ، ولكنكم لن تفقدوا عقولكم قط .. لذا فمن غير المنطقى أن يبلغ بكم التهوّر حد استفزاز جيش من الرجال المسلحين ، دون أن يكون بيدكم سلاح واحد .

ورفع سبابته ، مع تألق عينيه ، وهو يضيف :

ـ ثم كان هناك فحص الأسنان .

تمتم (نور) :

ـ آه .. هكذا إذن !

تابع (هولدشتاين) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ صحيح أن الطب الشرعى لم يتطوّر كثيرًا فى هذا العصر ، إلا أن فحص الأسنان أمر قديم للغاية ، يعود إلى القرن الذى يسبق هذا(*) ، وهو لم يتقدّم كثيرًا ، منذ ذلك الحين ؛ لذا فقد كان من السهل أن يتعرّف الأطباء الشرعيون الأعمار الحقيقية ، لأصحاب الجثث المحترقة .

(*) حقيقة ..

وأطلق ضحكة أخرى ، قبل أن يضيف ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره :

ـ وغنى عن الذكر أنها لم تكن تتفق قط مع أعماركم .

صاح به (أكرم) فى غضب :

ـ أيها الوغد .

استقبل (هولدشتاين) الصيحة فى صمت ، استغرق لحظة واحدة ، ثم لم يلبث أن انطلق على شكل ضحكة ساخرة عالية مجلجلة ، ختمها بقوله :

ـ لا داعى للغضب يا عزيزى (أكرم) ، ودعنى أستعيد عبارتك الأنيقة ..

ومال نحوه ، مستطردًا بلهجة شامتة ظافرة :

ـ هيا .. قلها يا رجل .. قلها .. لقد خسرت معركتك .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، فى حين قال (نور) فى حزم :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

التفت إليه (هولدشتاين) بحركة حادة ، قائلاً فى عصبية :

ـ ماذا فعلت يا (نور) ؟! ما الذى خططت له ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

- بل قل ما الذى حدث بالفعل ؟!

زوى (هولدشتاين) ما بين حاجبيه فى توتر بالغ ، متطلعًا إلى (نور) ، الذى تابع بابتسامة ساخرة :

- إننا لم نأت وحدنا يا رجل .. وكرك كله محاصر بجيش من رجال المقاومة الفرنسية ، فى انتظار خروجنا ، وما لم نفعل ، فسينقضون على المكان كعاصفة عاتية ، وسيحيلونه إلى أثر بعد عين ، خلال دقائق معدودة ، وهذا يعنى أنه أمامك خياران لا ثالث لهما يا جنرال .. فإما أن ترضى بالعيش فى هذا العصر ، متنازلاً عن ذاكرتك للمرة الثانية ، أو تلقى مصرعك الآن .

صمت (هولدشتاين) بضع لحظات ، بدت ملامحه خلالها جافة جامدة ، قبل أن يقول فى صرامة :

- وماذا لو أنه هناك حل ثالث ؟!

سأله (نور) فى حذر :

- أى حل ؟!

التفت (هولدشتاين) إلى أجهزته ، مجيبًا :

- هذا .

قالها ، وهو يضغط زرًّا أزرق ، فى أحد الأجهزة ، ثم استطرد فى سخرية :

- الآن لن يجد رجال المقاومة الفرنسية ما يهاجمونه .

ومع قوله ، تألقت الحجرة كلها بلون أزرق باهت ، راح يومض وينطفئ فى إيقاع سريع ، فهتفت (برجيت) ، وهى تلتصق بـ (طارق) فى رعب :

- ما هذا ؟! ما الذى يحدث ؟!

أجابها (هولدشتاين) ساخرًا :

- تجربة انتقال آنى أخرى يا جميلتى .. المكان كله سينتقل إلى نقطة أخرى ، تبعد عشرات الأميال عن موقعه الأوَّل ، وفى لحظة واحدة .

ثم مال نحو (نور) ، مستطردًا فى سخرية شامتة :

- وبالمناسبة يا عزيزى (نور) .. تلك الأسطوانة ، التى تحتويكم ، مصنوعة من طاقة مجرَّدة ، وهى منفذة للضوء والصوت ، ولكنها - للأسف - غير منفذة للهواء ، وهذا يعنى أن الهواء داخلها سيكفيكم لساعة واحدة على الأكثر .

اتسعت عينا (برجيت) فى ارتياع ، وهتفت :

- يا إلهى ! يا إلهى ! ماذا سنفعل يا (طارق) ؟!

أدهشها أن (طارق) لم يكن يستمع إليها إطلاقًا ، على الرغم من دقة الموقف ..

لقد كان يتطلع ، بكيانه كله ، إلى أحد الأجهزة العديدة ، التى يكتظ بها المكان ..

جهاز واحد بالتحديد ، جذب انتباهه بشدة ، حتى إنه نسى كل ما يحيط به ..

أما (أكرم) ، فقد هتف فى حنق ، وهو يلوّح بمسدسه :

- يا لك من وغد !

قهقه (هولدشتاين) ضاحكًا مرة أخرى ، وهو يقول :

- معذرة أيها السادة ، ولكننى سأستعير عبارة أخرى ، عن لسان قائدكم (نور) .. هل تفضلون العيش إلى الأبد فى هذا العصر ، مع تسليمى مقاتلة الزمن ، أم الموت هنا ، داخل أسطوانة الطاقة ، كالفئران الحبيسة ؟!

انفرجت شفتا (نور) ، ليقول شيئًا ما ، لولا أن هتف (طارق) فجأة :

- إنه أنت !

التفت إليه الجميع فى دهشة ، مع تلاشى الوهج الأزرق ، وقال (هولدشتاين) فى دهشة حذرة :

- أنا ماذا ؟!

أجابه (طارق) فى غضب صارم ، وهو يزيح (برجيت) جانبًا ، ويشير إليه بسبّابته مهدّدًا :

- أنت ذلك الشخص ، الذى أرسل رسائل الموت .

لم يفهم (نور) و(أكرم) ما الذى يعنيه (طارق) ، فى حين قال (هولدشتاين) فى حدة :

- رسائل الموت ؟! أية رسائل موت يا هذا ؟! أهى خدعة أخرى ؟!

صاح (طارق) ، وهو يشير إلى ذلك الجهاز :

- إنه جهاز بث فضائى .. أليس كذلك ؟!

التفت (هولدشتاين) إلى الجهاز ، وقال فى حذر :

- المفترض فيه أنه جهاز بث زمنى ، يمكننى بوساطته بث أية رسالة عبر الزمن والفضاء ، إلى أى عصر أشاء .

هتف (طارق) :

- بالتأكيد .. إنه أنت .. أنت المسئول عن دمار الأرض فى المستقبل .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :
- ماذا تقول يا (طارق) ؟ ماذا تعنى ؟!
وحدَّقت فيه (برجيت) فى دهشة ، فى حين غمغم (أكرم) فى حنق :
- ألا يمكن أن يشرح لى أحدكم ما يحدث ؟!
أما (هولدشتاين) ، فقال فى عصبية :
- ماذا تعنى أيها المأفون ؟!
صاح به (طارق) :
- أنت يا (هولدشتاين) .. أنت ذلك المجنون ، الذى بثَّ رسالة كونية ، يقول فيها إنه إمبراطور كوكب الأرض ، وإنه لن يلبث أن يصبح إمبراطور الكون كله .
انتفض جسد (هولدشتاين) ، وهو يتراجع هاتفًا :
- يا للشيطان ! كيف عرفت هذا ؟!
قال (طارق) فى غضب :
- كان ينبغى أن أدرك هذا منذ البداية .. كان ينبغى أن أدرك أنك الوحيد ، الذى يمكنه ارتكاب جريمة قذرة كهذه ..
صاح به (هولدشتاين) :

- ماذا تقصد يا هذا ؟!
أجابه (طارق) فى مرارة :
- أقصد أن تلك النزوة الحمقاء ، التى جعلتك تبث رسالتين بهذا المعنى ، عبر الفضاء والزمن ، ستتسبَّب فى تدمير كوكب الأرض عن آخره ، دون أن تكون هناك وسيلة واحدة لإنقاذه .
سأله (هولدشتاين) ، فى صرامة :
- كيف ؟!
أجابه (طارق) ، وهو يلوِّح بكفيه فى حدة :
الكون كله استقبل ذلك البث النرجسى المجنون ، وأحد كواكبه المأهولة ، اعتبرها رسالة تحذير ، وتمهيد لحملة استعمارية عنيفة ، لذا فقد اجتمع قادته ، واتخذوا قرارهم بتدمير كوكب الأرض عن آخره ، قبل أن يبدأ حملته الاستعمارية ، ولقد ساعدتهم تلك الخريطة الكونية ، التى أرسلتها مع البث ، والتى حدَّدت موقع الأرض ، داخل مجموعتنا الشمسية ، بمنتهى الدقة .. ولقد أطلقوا أقوى قنابلهم بالفعل ، بعد تلقيهم رسالتك الأولى ، وكادت تلك القنبلة تفنى الأرض بالفعل ، عندما وصلتها بعد عشرات السنين ،

على الرغم من انفجارها على بعد آلاف الكيلومترات من موقعها ..

انعقد حاجبا (نور) فى قوة ، وهو يقبض على ذراع (طارق) ، هاتفًا :

- رباه ! (طارق) .. هل تقصد تلك القنبلة الرهيبة ، التى صنعت دوَّامة كونية ، كادت تبتلع كوكب الأرض كله(*) ؟!

أجابه (طارق) فى مرارة :

- بالضبط أيها القائد .. لقد كانت تلك هى القنبلة الأولى ، ولكن القنبلة الثانية ستفوقها عشر مرات على الأقل .

جفَّ حلق (أكرم) ، وهو يقول :

- يا إلهى ! كم ستبلغ قوتها إذن ؟!

أجابه (طارق) فى ألم :

- ستصبح قادرة على تدمير المجموعة الشمسية بأكملها يا (أكرم) .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) ، وهو يغمغم :

- هراء .

(*) راجع قصة (الدوَّامة) .. المغامرة رقم (١٠٩) .

أجابه (طارق) فى حدة :

- بل حقيقة أيها الشيطان .. عندما تسلَّم أولئك القوم ، أو استقبلوا رسالتك الثانية ، التى قلت فيها إنك إمبراطور الكون بلا منازع ، أصابهم خوف شديد ، وقرَّروا صنع قنبلة هائلة ، وإطلاقها نحو الأرض ! لتحقق ما قد تفشل فيه القنبلة الأولى ، ولقد استغرقوا بعض الوقت ، قبل أن يصنعوها ، ويطلقوها نحو الأرض بالفعل .. وفى هذه المرة لم تكن هناك وسيلة ، لمنعها من الانفجار فى قلب المجموعة الشمسية ، وتدميرها عن آخرها .

وانعقد حاجباه فى شدة ، مستطردًا :

- لم تكن هناك أية وسيلة على الإطلاق .

غمغم (نور) :

- بل كانت هناك وسيلة واحدة ، غير تقليدية .

ثم التفت إلى (طارق) ، مستطردًا :

- أليس كذلك ؟!

هتف (هولدشتاين) :

- هراء .. هراء .

ثم مال نحو (طارق) ، قائلاً :

- قصتك كلها مجرَّد هراء يا (طارق) .. مجرَّد محاولة لإخافتى ، وبث القلق فى نفسى فحسب .

واعتدل مرة أخرى ، مستطردًا فى سخرية :

- ثم إننى لم أرسل سوى رسالة واحدة .

تألَّقت عينا (طارق) ، وهو يقول :

- حقًّا ؟!

أجابه (هولدشتاين) فى سرعة :

- ولكننى سأرسل الثانية حتمًا ، بعد أن يتحقَّق انتصارى كاملاً .

ولوَّح بيده ، هاتفًا :

- بعد أن تصبح مقاتلة الزمن فى قبضتى ، وأستعيد سيطرتى على التاريخ .

واشتعلت عيناه على نحو مخيف ، وهو يضيف :

- ولست أعتقد أننى سأنتظر كثيرًا .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، مكملاً :

- سينتهى كل شىء ، بعد أقل من خمسين دقيقة .

قالها ، واتجه نحو باب الحجرة ، مطلقًا ضحكة أخرى ، وقال ، قبل أن يغلق بابها خلفه :

- أراهن على أن رجال المقاومة الفرنسية يضربون أخماسًا فى أسداس الآن .

ومع إغلاقه الباب فى قوة ، تجمَّدت مشاعر الجميع لحظة ، وران عليهم صمت رهيب ، قبل أن يهتف (أكرم) :

- اللعنة ! لقد فعلها مرة أخرى .

وارتجفت (برجيت) ، قائلة :

- هل سنموت هنا حقًّا ؟!

ضمَّها (طارق) إليه فى رفق ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين سأله (نور) فى اهتمام واضح :

- أهذه هى المهمة ، التى أتيت من أجلها ؟!

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وغمغم :

- نعم أيها القائد .

تطلَّع إليه (نور) لحظة فى صمت ، ثم قال فى حزم :

- أعتقد أننى أرغب فى سماع قصتك يا (طارق) .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

- الآن ؟! ألن نفكِّر فى وسيلة ؛ للخروج من هنا ؟!

رمقه (نور) بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

- كلى آذان مصغية يا (طارق) .

تنهَّد (طارق) ، ولاذ بالصمت بضع لحظات بدوره ، قبل أن يقول :

- سأخبرك .. سأخبرك بكل شىء أيها القائد ..

وبدأ يروى قصته ..

قصة أخطر مهمة عرفها التاريخ .. والزمن .

★ ★ ★



٤- مهمة مستحيلة ..

داعب الدكتور (ناظم) ذقنه فى توتر ، وهو يطالع ذلك المشروع ، الذى قدَمته له (سلوى) ، ثم لم يلبث أن رفع عينيه إليها ، قائلاً :

- هل تعلمين كم يمكن أن يتكلَّف هذا المشروع يا (سلوى) ؟! هل تدركين كم من الأموال نحتاج ، لإقامة أبراج البث الفضائى هذه ؟! ألا يمكننا إطلاق تلك الذبذبة ، من أحد أقمارنا الصناعية ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، قائلة :

- مستحيل ! لا بد أن ينطلق البث من داخل الكرة الأرضية ، وليس خارج غلافها الجوى .

تنهَّد مغمغمًا :

- لست أدرى يا (سلوى) .. الواقع أن التكلفة ..

قاطعته فى حدة :

- أية تكلفة يا دكتور (ناظم) ؟! إنكم تتحدَّثون طوال الوقت عن مستقبل الأرض ، وأهمية استعادة

(طارق) بأى ثمن ، وعندما أجد وسيلة لإعادة الجميع إلى زمننا ، تتحدثون عن التكلفة !! ماذا دهاكم ؟ وما الذى تسعون إليه بالضبط ؟!

لوَّح بالأوراق فى وجهها ، هاتفًا :

ـ إننا نسعى لاستعادة الجميع بالتأكيد ، ولكن ما قدمته لنا مجرَّد نظرية ، لم تدعَمها أية تجارب عملية ، ولا يمكننا إنفاق ما يقرب من مليار دولار ، من أجل نظرية .

أجابته فى غضب :

ـ النسبية أيضًا كانت مجرَّد نظرية ، دون أى تطبيق عملى ، وعلى الرغم من هذا فقد غيَّرت وجه العالم كله(*) .

مطَّ شفتيه فى توتر ، وقال :

ـ (سلوى) .. حاولى أن تفهمى .

قالت فى حدة :

ـ أفهم ماذا ؟! هل تعنيكم عودة (نور) أم ماذا ؟!

(*) حقيقة ، فعلى العكس مما يتصوَّر الجميع ، لم يدخل (ألبرت أينشتين) ، واضع النظرية النسبية ، معملاً قط ، وإنما وضع نظرياته كلها من خلال معادلات رياضية فحسب .

أجاب متوترًا :

ـ بالتأكيد ، ولكن ..

قاطعته (نشوى) فى حنق :

ـ ولكن ماذا ؟! كم وضعتم ثمنًا لأبى ، لا ينبغى أن تتجاوزه محاولات إنقاذه واستعادته ؟!

أجابها فى حدة :

ـ نحن لا نتحدَّث عن والدك وحده يا (نشوى) .

صاحت (سلوى) :

ـ إنكم تتحدَّثون عن المال .. المال وحده ، وليس عن حياة الـ ... الـ ...

لم تستطع إكمال عبارتها ، مع الدوار العنيف الذى أصابها ، والذى جعلها تتراجع بحركة حادة ، هاتفة :

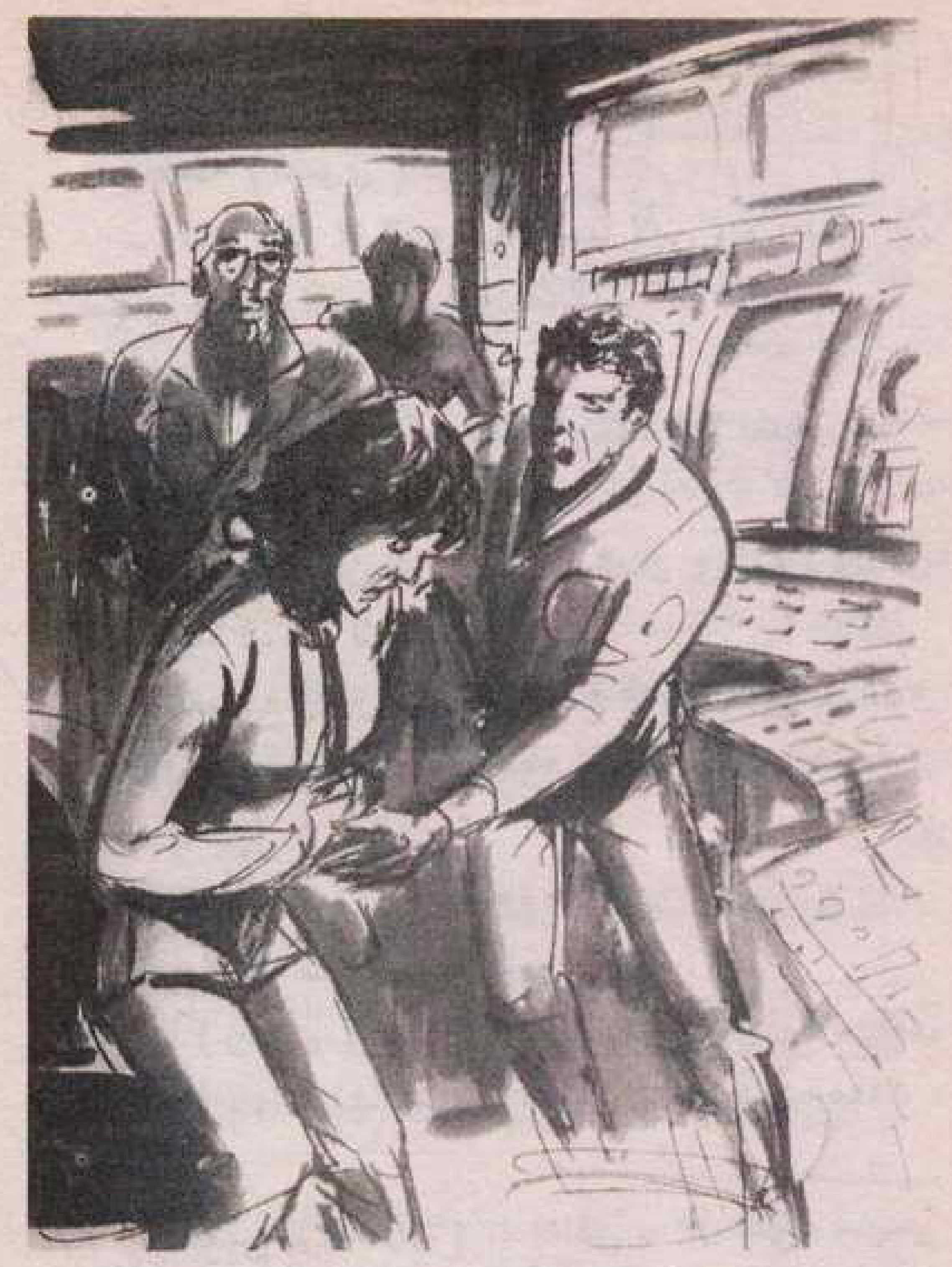
ـ يا إلهى ! يا إلهى !

صاحت (نشوى) مذعورة :

ـ أمى .. ماذا أصابك ؟!

أما (رمزى) فقد أسرع يتلقَّفها ، قبل أن يختلَّ توازنها ، وعاونها على الجلوس على أقرب مقعد ، قائلاً :

ـ اهدئى يا (سلوى) .. اهدئى .. كل شىء سيسير على ما يرام بإذن الله .



أما (رمزى) فقد أسرع يتلقَّفها ، قبل أن يختلَّ توازنها ، وعاونها على الجلوس على أقرب مقعد ..

وارتبك الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

ـ إننى لم أقصد هذا .. لم أقصد شيئًا سيئًا .. إننى ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، أطلقت (سلوى) شهقة قوية ، ومالت إلى الأمام بحركة حادة ، ثم أفرغت ما بجوفها فى عنف ، فهتفت (نشوى) :

ـ ربّاه ! أمى .. ماذا أصابك ؟!

اعتدل (رمزى) ، وانعقد حاجباه ، وهو يقيس نبضها ، قائلاً :

ـ أعتقد أننى أعرف ما أصابها .

رفعت (نشوى) عينيها إليه فى توتر ، فاستطرد فى حزم :

ـ إنها تعانى من متاعب بدايات الحمل .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى دهشة ، وهتفت (نشوى) :

ـ الحمل ؟!

أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا ، وغمغمت فى مرارة :

ـ هذا صحيح .

تهلَّلت أسارير (نشوى) ، وهى تحتضن أمها :

ـ يا إلهى ! يا إلهى ! هل سيصير لى أخ ؟! كم يسعدنى هذا يا أماه ! كم يسعدنى هذا !

اغرورقت عينا (سلوى) بالدموع ، وهى تقول :

ـ كنت أتمنى أن يولد فى وجود أبيه .

تجمَّدت الابتسامة على شفتى (نشوى) ، ثم لم تلبث أن تلاشت فى بطء ، وهى تقول فى حنان حزين :

ـ سيولد بين يديه بإذن الله يا أمى .. سيولد بين يديه .

بكت (سلوى) فى مرارة ، مغمغمة :

ـ كيف ؟!

أجابها الدكتور (ناظم) فى حزم :

ـ سنبذل كل ما فى وسعنا ، من أجل هذا .

قالها ، واتجه نحو الباب فى خطوات قوية ، ثم توقَّف عنده ، واستدار إليها ، مضيفًا فى حزم :

ـ مهما كان الثمن .

وأغلق الباب خلفه فى قوة ، وقد فتح بكلماته بابًا جديدًا للأمل ..

الأمل فى استعادة (نور) ورفيقيه ..

لو أنهم ما زالوا على قيد الحياة ..

وعاونها

★ ★ ★

« الأرض تواجه أكبر خطر ، فى تاريخها كله .. »

نطق القائد العبارة ، وهو يضع يده على كتف (طارق) ، الذى قال فى حزم وحماس :

ـ لا يمكننا أن نقف ساكنين ، أمام هذا الخطر أيها القائد .

هزَّ القائد رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لقد درسنا الأمر من كل الوجوه يا ولدى ، ولكن الأمل فى النجاة يكاد يبلغ الصفر ، فتلك القنبلة الرهيبة تجاوزت حدود مجموعتنا الشمسية بالفعل ، وهى تتجه نحونا بسرعة مخيفة ، ولو أننا أرسلنا قنبلة مضادة لتفجيرها ، فستبلغها عند كوكب (المشترى) ، طبقًا لتقديرات العلماء ، وإذا ما نسفتها هناك ، فموجة الانفجار الناشئة ، ستطيح بكوكب الأرض ، خلال يومين فحسب .

سأله (طارق) فى قلق :

ـ ألا يمكن تغيير مسارها على الأقل ؟!

هزَّ القائد رأسه نفيًا مرة أخرى ، قائلاً :

ـ ليس هذا بالأمر السهل ، ولكن حتى لو نجحنا ، هذا لن يغيِّر من الأمر شيئًا ، إذ إن الدراسات ،

التى أجراها علماؤنا ، عبر التليسكوبات الفلكية العملاقة ، أشارت إلى أن تلك القنبلة مزوَّدة بجهاز توقيت دقيق للغاية ، بحيث تنفجر عند اقترابها من كوكب الأرض ، فى موعد محدود ، وهذا يعنى أنه حتى لو غيرنا مسارها ، فستنفجر فى موقع آخر ، وسيحدث انفجارها نفس الموجة العنيفة ، التى تكفى لسحق مجموعة شمسية كاملة .

هزَّ (طارق) رأسه ، قائلاً فى اضطراب :

ـ لا بد أنه هناك سبيل لمنع هذا .. لا بد .

تطلَّع إليه القائد لحظة ، قبل أن يجيب بصوت خافت :

ـ هناك سبيل بالفعل يا ولدى ، ولكن ...

سأله فى لهفة :

ـ ولكن ماذا ؟!

تنهَّد القائد فى عمق ، ومسح شعره الأشيب الكثيف براحته ، ثم تحرَّك بضع لحظات فى صمت ، داخل حجرته الواسعة ، قبل أن يستقرَّ خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ البث الذى تلقَّاه علماؤنا ، منذ عدة سنوات

يؤكِّد أن السبب فى إرسال هذه القنبلة الرهيبة إلينا ، هو رسالتان ، تم بثهما من الأرض إلى الفضاء ، فى أحد الأزمنة الماضية ، يقول مرسلهما إنه إمبراطور الأرض المطلق ، وإمبراطور الكون السابق ، ولقد أصاب الذعر سكان أحد الكواكب البعيدة ، الذين تصوَّروا أنها بداية لغزو كونى شامل ، يبدأ من كوكب الأرض ، وقرَّروا نسف كوكبنا ، قبل أن يبدأ غزوه .. ولقد أرسلوا قنبلة رهيبة بالفعل ، فور تلقيهم الرسالة الأولى ، ونجت منها الأرض ، ولكنهم أرسلوا هذه القنبلة الهائلة ، بعد الرسالة الثانية ، وبثوا رسالتهم فى الوقت ذاته ، ليعلنوا أنهم مضطرون لنسف مجموعتنا الشمسية كلها ، حفاظًا على سلامة الكون .

وتنهَّد مرة أخرى ، قبل أن يضيف :

ـ وها نحن أولاء نواجه أيامنا الأخيرة ، بسبب رسالة فضائية حمقاء غير مسئولة ، انطلقت من نقطة ما ، فى أحد الأزمان الماضية .

سأله (طارق) فى لهفة :

ـ ما الوسيلة التى تحدَّثت عنها أيها القائد ؟!

تطلَّع إليه القائد فى صمت ، قبل أن يجيب فى حزم :

- منع بث الرسالة الثانية .. وبأى ثمن .

تراجع (طارق) فى دهشة ، قائلاً :

- وكيف هذا ؟! لقد تم بثُّها فى زمن ماض ، كما تقول !!

أومأ القائد برأسه موافقًا ، ثم نهض من خلف مكتبه ، قائلاً :

- نعم يا ولدى .. الرسالتان تم بثُّهما من أكثر من قرن من الزمان .. من مكان ما فى تاريخ الأرض ، واستغرقتا زمنًا طويلاً لبلوغ ذلك الكوكب ، الذى أطلق القنبلتين ، وهذا يعنى أن عدوًّا ما من الماضى قد فعل هذا ، دون أن يدرى ما يمكن أن تؤدّى إليه حماقته ، والسبيل الوحيد لمنع هذه الحماقة ، وإنقاذ كوكب الأرض ، من المصير المظلم الذى ينتظره ، هو العودة إلى الماضى ، والبحث عن ذلك العدو المجهول ، ومنعه من إطلاق رسالته الثانية .

فغر (طارق) فاه ، فى دهشة بالغة ، وهو يتساءل :

- وهل هناك سبيل للعودة إلى الماضى ؟!

تطلّع إليه القائد لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- بالتأكيد .

هبّ (طارق) من مقعده ، من فرط الدهشة ، فأشار القائد بيده ، مكملاً فى حزم :

- لدينا مقاتلة زمنية تجريبية بالفعل ، ولكن المشكلة أن خرائط الزمن لم تكتمل بعد ، كما أن أجهزة التحكم فى الانتقال ما زالت فى مرحلة الاختبار الأولى .

قال (طارق) فى اهتمام :

- هذا يعنى أن الانطلاق بالمقاتلة الزمنية مخاطرة كبيرة ، فالمسافر بها عَبْر الزمن ، قد يضلَّ طريقه إلى الأبد .

أومأ القائد برأسه ، متمتمًا فى أسى :

- هذا احتمال وارد .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد فى مرارة :

- ولكن ليس لدينا سبيل آخر .

غلّفهما الصمت طويلاً ، وكلاهما يتطلّع إلى الآخر مباشرة ، قبل أن يشدّ (طارق) قامته ، ويقول فى حزم :

- سيّدى .. إننى أرغب فى القيام بهذه المهمة .

تطلّع إليه القائد فى صمت وتأثّر ، فتخلّى عن

وقفته العسكرية ، وهو يقول ، فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

- أبى .. أعلم جيدًا أن عاطفة الأبوة فى أعماقك ، ستمنعك من إرسالٍ ابنك ، فى مهمة شديدة الخطورة كهذه ، ولكننى أؤكد لك أننى الشخص المناسب تمامًا لهذا العمل .. لقد عهدك الجميع دائمًا قائدًا من الطراز الأوَّل ، وتاريخك كله يقول : إنك لم تؤثر قط صالحك على الصالح العام ، وإنك مستعد دائمًا للتضحية بكل عزيز لديك ، من أجل سلامة كوكب الأرض .. أرجوك يا أبى .. إننى ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق فى عينى القائد .. قبل أن يهتف :

- أبى .. أعنى سيِّدى القائد ... إنك تبكى !!

أطلَّ التأثُّر واضحًا ، من عينى القائد وصوته ، وهو يقول :

- لقد طرحنا الأمر على الكمبيوتر ، فانتخب شخصين .. أنت أحدهما يا ولدى ..

اتسعت عينا (طارق) لحظة ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، قائلاً :

- وأنا فى غاية الاستعداد يا أب ... يا سيِّدى القائد ..

وضع القائد يده على كتفه ثانية ، وهو يقول فى تأثُّر جارف :

- أعلم هذا يا ولدى .. أعلم هذا ..

وهكذا بدأت المهمة ..

أخطر مهمة فى تاريخ الكون كله ..

★ ★ ★

لم يقاطع (نور) و(أكرم) و(برجيت) (طارق) لحظة واحدة ، حتى انتهى من قصته ، وبعدها ساد الصمت التام لدقيقة أو يزيد ، قبل أن يقطعه (نور) بقوله :

- من الواضح أن كل شىء تم إعداده بدقة بالغة .. اختيار الشخص المناسب ، ووضع قصة للطوارئ ، وتزويدك بكل المعلومات اللازمة .. كل شىء ..

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وقال :

- هذا أمر طبيعى أيها القائد .. إنه نفس ما كنت ستفعله ، لو أنك فى الموقف ذاته .. لقد انطلقنا بالمقاتلة الزمنية ، و ...

قاطعه (نور) فى توتر :

- انطلقنا ؟! أتعنى أنك لم تكن وحدك ؟!

تطلَّع إليه (طارق) لحظة فى صمت ، قبل أن يجيب :

- فى مهمة كهذه ، لا بد من وجود بديل ، فنحن نجهل الكثير عن ثقوب الزمن ، ونجهل كم من الوقت سنستغرق ، قبل أن يتوصَّل كمبيوتر المقاتلة لتحديدها وكشف أسرارها ، ومن المحتمل جدًّا أن يلقى أحدنا مصرعه ، فى أحد الأزمان ، وعندئذ ينبغى للثانى أن يكمل المهمة .

تمتم (أكرم) :

- يا إلهى ! من يصدِّق هذا ؟!

هزَّ (طارق) رأسه ، قائلاً :

- الحقيقة كثيرًا ما تفوق الخيال يا (أكرم) .

سأله (نور) :

- إذن فقد كنت تعلم أن ذلك الثقب سيقودنا إلى هنا .

صمت (طارق) طويلاً هذه المرة ، قبل أن يجيب :

- الجزء الخاص بضياعنا فى مجرى الزمن صحيح تمامًا أيها القائد .. لقد تنقَّلنا عشوائيًّا ، من زمن إلى آخر ، ولكن كمبيوتر المقاتلة كان يدرس كل رحلة ، ويخزِّنها فى ذاكرته ، حتى يمكنه تحليل الأمر ،

والتوصُّل إلى سر ثقوب الزمن السوداء .. وعندما انطلقنا نحو الثقب ، الذى قادنا إلى هنا ، كان كمبيوتر المقاتلة يشير إلى أنه يتصل بزمن ما ، فى القرن العشرين ، ولكنه لم يحدِّد هذا الزمن بدقة .

سأله (نور) :

- وماذا لو أننى اخترت ثقبًا آخر ؟!

ابتسم (طارق) ، قائلاً :

- لم تكن لتفعل ، فوسط تلك الفوضى هناك ، كنت ستنتقى الثقب المواجه للمقاتلة مباشرة .. هذا يتناسب مع شخصيتك كما ..... كما قرأت عنها .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- إذن فقد كنت تقود المقاتلة ، بحيث تواجه ذلك الثقب طوال الوقت ، دون أن نشعر نحن بهذا ، وسط الفراغ اللانهائى .

أومأ (طارق) برأسه ، مغمغمًا :

- إننى أعترف بهذا .

هتف (أكرم) :

- عظيم .. هذا يعنى أنك الشخص المسئول عن هذا الموقف السخيف ، الذى نحن فيه الآن .. ألديك إذن وسيلة للخروج منه يا عبقرى المستقبل ؟!

تطلّع (طـارق) إلـى جـدران الطاقـة المتألّقـة ، مغمغمًا :

ـ لست أدرى .. أسطوانة الطاقة هذه تعود إلى زمن يسبقنا بكثير .

هتف (أكرم) فى حنق :

ـ رائع .. سنموت مختنقين إذن كالفئران الحبيسة ، كما قال ذلك الوغد .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ لست أعتقد هذا .

التفت إليه (أكرم) ، هاتفًا :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (نور) فـى سرعة ، وملامحه توحى بأنه ما زال يواصل التفكير فى عمق :

ـ الدكتور (خالد) ما زال يحتاج إلى وجودنا بشدة ، حتى يحصل على المقاتلة الزمنية ، التى ستضمن له العودة إلى زمنه ، بعد أن ينجح فى تغيير التاريخ هنا ، وما دام يجهل موضعها ، فلن يجازف بالقضاء علينا قط ، و ...

« بالضبط .. »

قاطعه ذلك الصوت الصارم ، قبل أن يبرز (هولدشتاين) أمامهم مستطردًا :

ـ أنت على حق كالمعتاد يا (نور) .. لا يمكننى أن أجازف بالقضاء عليكم ، قبل أن أحصل على تلك المقاتلة الزمنية .

قال (أكرم) فى سخرية عصبية :

ـ لا يمكنك أن تتصوّر كم أسعدنى هذا .

أشار (هولدشتاين) بسبّابته ، قائلاً :

ـ ولكننى فى الوقت ذاته لن أدخر وسعًا ، للحصول عليها .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وراح يتحرّك فى المكان ، متابعًا :

ـ كيف إذن يمكن حل معادلة صعبة كهذه ؟! إنكم لن تستسلموا قط ، حتى لو كان الأمر يتعلّق بحياتكم .

ودار حول نفسه بحركة سريعة ، وهو يضغط شيئًا ما فى جيبه ، هاتفًا :

ـ ولكن ماذا عن تلك الفرنسية الحسناء ؟!

قبل حتى أن يتمّ عبارته ، كانت (برجيت) تطلق شهقة مذعورة ، عندما شعرت بقوة عجيبة تنتزعها

من مكانها ، وتخرجها من تلك الأسطوانة المتألِّقة ، لتلقى بها إلى مسافة متر واحد منها ، حيث أحاطت بها فجأة أسطوانة طاقة أخرى ..

وبكل غضب وثورة الدنيا ، صرخ (طارق) :

- دعها وشأنها أيها الوغد .

أطلق (هولدشتاين) ضحكة عالية ساخرة ، وقال :

- لا تحاول يا فارس الزمن الوسيم .. لقد أخبرتكم أننى لن أدخر وسعًا ، للحصول على مقاتلتكم الزمنية .

ثم أشار إلى (برجيت) ، مستطردًا :

- إنكم لا تهابون الموت ، ولكننى سأترككم تراقبون رفيقتكم الفاتنة ، وهى تختنق داخل تلك الأسطوانة الصغيرة ، التى لن تمنحها سوى ما يكفى من الهواء لعشر دقائق فحسب ، وهى كل المهلة الممنوحة لكم .

وعادت عيناه تتألَّقان ، وهو يضيف بلهجة شيطانية :

- والآن ، دعونى أسألكم .. هل ستحتمل قلوبكم الرقيقة هذا المشهد ؟!

ألقى سؤاله ، ثم انفجر يطلق ضحكته الشيطانية الرهيبة ..

ضحكة رجل بلا قلب .

على الإطلاق ..

★ ★ ★

لو أن فنانًا قديرًا قلب الدنيا كلها ، بطولها وعرضها ، بحثًا عن صورة تعبِّر عن الذعر والانبهار والذهول فى أسمى صورها ، لما وجد مشهدًا أفضل من رجال المقاومة الفرنسية ، وهم يحدِّقون فى المساحة الخالية أمامهم ، عند مشارف (باريس) ، والتى كان يحتلِّها منذ قليل وكر (هولدشتاين) ، قبل أن يتألَّق بغتة ، ويتلاشى أمام عيونهم ، وكأنه لم يكن ..

ولقد استغرق ذهولهم هذا ما يقرب من دقيقة كاملة ، وقفوا خلالها جامدين كالحجر ، متسعى الأعين ، مفغورى الأفواه ، وكأن على رءوسهم الطير ..

ثم فجأة ، هتف (جلوفيه) :

- هل رأيتم هذا ؟!

غمغم أحدهم ، والذهول لم يفارقه بعد :

- لقد تلاشى أمام أعيننا .

وتمتم آخر مبهورًا :

ـ أكان هناك حقًا ، أم ..

والتفت إلى (آلان) ، متابعًا بصوت مرتجف :

ـ أم أن كل هذا مجرَّد وهم ؟!

لم يجب (آلان) على الفور ، وإنما خفض فوهة مدفعه الآلى فى بطء ، وهو يواصل التحديق فى موقع المنزل ، ثم لم يلبث أن غمغم فى توتر بالغ :

ـ لا قبل لنا بهذا .

سأله الرجل فى دهشة :

ـ ماذا تقول يا (آلان) ؟!

التفت إليه (آلان) بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ أقول : إنه لا قبل لنا بمثل هذه الأمور الشيطانية .. ربما كان هؤلاء المستقبليون قادرين على مواجهة بعضهم البعض ، بمثل هذه الأفعال الرهيبة ، فهذا لا ينطبق علينا .. إننا لا ندرى حتى ما الذى نواجهه .

سأله أحد الرجال فى توتر :

ـ وماذا عن (برجيت) ؟!

انعقد حاجبا (آلان) فى شدة ، وهو يلوذ بالصمت التام لبضع لحظات ، قبل أن يقول فى خشونة ، تشفّ عن مدى ما يعانيه فى أعماقه :

ـ لقد فقدنا الكثيرين ، منذ بدء هذا الصراع الجهنمى .

بُهت الرجال للجواب ، فران عليهم الصمت وهلة ، قبل أن يهتف أحدهم فى عصبية :

ـ ماذا تعنى ؟!

لوَّح (آلان) بذراعه فى حدة ، هاتفًا :

ـ أعنى ما فهمتموه جميعًا .. ألا يمكنكم استيعاب هذا ؟!

صاح أحدهم محتجًا :

ـ هل تعنى أن نتخلّى عن (برجيت) ؟!

صرخ (آلان) ، على نحو يوحى بأن أعصابه لم تعد تحتمل :

ـ ومن قال : إننا نستطيع استعادتها ؟!

لم يحر أحدهم جوابًا ، وهو يتابع فى مرارة :

ـ هل أصابكم العمى ؟! ألم تروا ما حدث أمام أعينكم جميعًا ؟! ها نحن أولاء قد اتبعنا كل ما أشار به (نور) هذا ، ونفذنا خطته بحذافيرها ، فماذا كانت النتيجة ؟! إننا لم نظفر بأى شىء ، بل كان من الممكن أن نتلاشى مع ذلك المنزل الشيطانى ، الذى اختفى أمامنا ، وكأنه لم يكن ، بعد أن احتوى رجال

المستقبل الثلاثة !! ماذا كان يمكننا أن نفعل إزاء كل هذا ؟! هل نمتلك وسيلة لمواجهة ذلك السحر الرهيب ؟! هل نفهم حتى كيف يحدث ؟!

ثم شدَّ قامته ، وازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يستجمع كل ما أمكنه من صرامته ، مستطردًا ، وهو يواجه الجميع :

ـ لقد فقدنا (برجيت) أيها الرجال .. فقدناها ولن يمكننا استعادتها مرة أخرى .. ربما كان من الصعب عليكم استيعاب هذا أو هضمه ، ولكن ليس أمامكم سوى هذا .. إنها ليست المرة الأولى ، التى نفقد فيها أحد الأصدقاء أو الأحبة .. إنها الحرب .. لا بد أن نتقبَّل فقد أى شخص ، مهما كانت مكانته .. لا أحد يمكنه الإفلات من الموت .. لا أحد على الإطلاق .

غلَّفهم الصمت مرة أخرى ، وارتسم مزيج من الحزن والأسى والإحباط على وجوههم ، وحاول بعضهم كتمان دموعه فى مرارة ، فى حين عجز واحد أو اثنين عن هذا ، فانهمرت دموعهم غزيرة ، و (آلان) يزدرد لعابه مرة أخرى فى صعوبة بالغة ، ويتنحنح مرتين ، ثم تابع بكل مرارته وآلامه :

ـ واجبنا يقتضى أن ننسى كل ما حدث ، وكأننا لم نلتق برجال المستقبل هؤلاء قط .. لن نتوقَّف لنجتر الدموع والأحزان .. الحرب لن تتوقَّف ، حتى ننتهى من إفراغ عواطفنا وشجوننا ، و(باريس) لا يمكنها أن تفتقد المقاومة ورجالها طويلاً .. إننا الأمل الوحيد ، الذى يغسل به الفرنسيون جراحهم ويضمدونها طوال فترة الاحتلال ..

وعاد يشدَّ قامته فى حزم حقيقى ، مستطردًا :

ـ فلننس رجال المستقبل ، وكل أفعالهم العجيبة .. ولننس حتى (برجيت) نفسها ، ولكننا لن ننسى وطننا قط .. مهما كان الثمن .

وكان هذا يعنى أن المقاومة الفرنسية قد خرجت نهائيًا من الصراع ..

صراع (نور) ورفاقه ، فى مواجهة (فريدريش هولدشتاين) ..

الشيطان ؟!

★ ★ ★

من أعجب الأمور المتعلِّقة بالزمن ، أنه يمضى فى بطء شديد عندما نتعجَّله ، ويعدو كجواد جامح ، عندما نحتاج إليه ..

لهذا مضت الدقائق بسرعة الصاروخ ، داخل وكر الشيطان ، وبدأت (برجيت) تشعر بالاختناق ، و(نور) يهتف بها :

- حاولى السيطرة على مشاعرك يا (برجيت) .. التوتر يزيد من سرعة تنفسك ، ويستهلك المزيد والمزيد من الأكسجين .

كانت تبذل جهدًا حقيقيًا ، للسيطرة على أعصابها ، إلا أن كل ذرة فى كيانها كانت ترتجف خوفًا وذعرًا ، مع صعوبة التنفس ، التى تشكو منها رئتاها منذ لحظات ، فغمغم (أكرم) فى عصبية :

- ذلك الوغد لن يتركها تموت .. إنه يحتاج إليها .. لن يجرؤ على هذا .

أجابه (طارق) فى عصبية :

- من الواضح أنك لم تنجح فى فهمه قط يا (أكرم) .. إنه ليس وغدًا فحسب ، بل هو شيطان آدمى ، سيطرت عليه فكرة مجنونة بالسيطرة على العالم ، حتى إنها أخمدت كل مشاعره البشرية الأخرى ، وجعلته أشبه بالوحوش المفترسة ، التى لا تنتعش إلا بمذاق الدم .

قال (نور) فى هدوء عجيب ، لا يتفق مع صعوبة الموقف :

- حتى الوحوش المفترسة لها نقاط ضعف .

لم يفهم (أكرم) ما يعنيه (نور) بالضبط ، أما (طارق) ، فقد التفت إليه ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة بنظرة متساءلة ، فتابع (نور) بنفس الهدوء :

- من الواضح أن جدار الطاقة هذا منفذ للصوت والضوء ، ولكنه غير منفذ للأشياء المادية ، مثل الأجسام وذرات الهواء وغيرها .

سأل (أكرم) فى حيرة :

- وبم يمكن أن يفيدنا هذا ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، مجيبًا :

- ربما أفادنا كثيرًا .. أكثر مما تتصوّر .

تطلّع (طارق) إلى عينى (نور) لحظة أخرى ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لا أيها القائد .. الوقت لا يسمح بالتفكير والتدبير .. لن أترك (برجيت) تلقى مصرعها أمام عينى .

ثم استدار هاتفًا :

- (هولدشتاين) .. أين أنت ؟!

أمسك (نور) ذراعه فى قوة ، هاتفًا :

- هل جننت يا (طارق) ؟! لا يمكنك أن تستبدل حياة امرأة واحدة بمصير العالم أجمع ، مهما بلغ حبك لها .

صاح به (طارق) فى حدة :

- لا تحاول أيها القائد .. لقد اتخذت قرارى .

ثم صرخ مرة أخرى :

- أين أنت يا (هولدشتاين) ؟! اظهر أيها الوغد .

لم يكد يتمَ عبارته ، حتى شعر ببرودة قارصة تحيط به ، ثم انتزعته قبضة قوية من مكانه ، وألقت به على مسافة متر آخر من أسطوانة الطاقة ، حيث غلفته أسطوانة أخرى ، في نفس اللحظة التى ظهر فيها (هولدشتاين) ، قائلاً فى ظفر :

- هأنذا يا فارس المستقبل .. أظنك قد اتخذت قرارك بالفعل .

صاح (نور) :

- لا يا (طارق) .. لا تفعلها .

ولكن (طارق) ألقى نظرة على (برجيت) ، التى بدت محتقنة الوجه ، وقد انهارت جالسة داخل أسطوانة الطاقة المحيطة بها ، ثم قال فى حزم :

- قلت لك : لقد اتخذت قرارى .

وعاد يواجه (هولدشتاين) ، مستطردًا بنفس الحزم :

- اتركها يا (هولدشتاين) .. أطلق سراحها ، وسأمنحك مفتاح مقاتلة الزمن .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (هولدشتاين) ، وهو يمد يده ، قائلاً :

- المفتاح أوَّلاً .

قال (طارق) فى حدة :

- أطلق سراحها يا (هولدشتاين) .

أجابه (هولدشتاين) فى صرامة شديدة :

- المفتاح يا فارس الزمن .

انعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، وهتف (نور) مرة أخرى :

- لا يا (طارق) .. أرجوك .. إنك تضحى بمستقبل الأرض كلها .

بدت المرارة واضحة فى صوت (طارق) وملامحه ، وهو يقول :

- آسف أيها القائد .. ليس أمامى سوى هذا .

ثم دس يده فى جيبه ، وأخرجها ليفردها أمامه ،



ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (هولدشتاين) ، وهو يمد يده ، قائلاً : ـ المفتاح أولاً ! ..

فى اتجـاه (هولدشتاين) ، وهى تحوى كرة فضية صغيرة ..

وكان مـن الواضـح أن تلـك الكـرة الفضيـة هـى المفتاح ..

مفتاح مقاتلة الزمن .





٥ـ المستقبل ..

« لقد اتخذنا كل الإجراءات اللازمة .. »

نطق الدكتور (ناظم) العبارة فى حزم ، وهو يواجه أفراد الفريق ، الذين بدا عليهم الارتياح ، وخاصة (سلوى) ، التى سألت فى لهفة :

ـ ومتى يبدأ البث ؟!

ألقى نظرة على ساعته ، قبل أن يجيب :

ـ ما زالت أمامنا ست ساعات .

ضمَّت قبضتيها أمام وجهها ، الذى رفعته إلى أعلى ، هاتفة ، من أعمق أعماق قلبها :

ـ ساعدنا يا إلهى ! ساعدنا على استعادتهم .

ربَّتت (نشوى) على كتفها فى حنان ، قائلة :

ـ اطمئنى يا أمى .. أنا واثقة من أننا سننجح ، بإذن الله (سبحانه وتعالى) فى استعادة والدى ورفيقيه .

قال الدكتور (ناظم) فى حماس :

ـ بإذن الله .

ثم أضاف بسرعة :

ـ عندما تكتمل الاستعدادات ، سنبث تلك الذبذبة الفائقة على الفور ، وسيتم نقلها ، عبر المحطات الأرضية ، لتحيط بالكوكب كله ، وتمنح الثقب الخاص بزمننا ذلك اللون الأحمر .

تمتم (رمزى) :

ـ سيدرك (نور) الأمر على الفور .

لم ينجح فى إخفاء ذلك القلق ، الذى يعصف بأعماقه ، فتطلَّعت إليه (سلوى) فى توتر ، جعل (نشوى) تهتف بحماس بالغ :

ـ ليس لدى أدنى شك فى هذا .

كان من الواضح أن التوتر سيسود الموقف ، لذا فقد أسرع (رمزى) يقول ، محاولاً تغيير دفة الحوار :

ـ ولكن كيف أمكنكم إعداد كل شىء ، بهذه السرعة المدهشة يا دكتور (ناظم) ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) فى سرعة ، وكأنما يشاركه المحاولة نفسها :

ـ كان الأمر فى حكم المستحيل ، لو فكرنا فى بناء

سلسلة محطات بث ، لإطلاق تلك الذبذبة ، حول الكرة الأرضية كلها ، ولكن القائد الأعلى أشار إلى أننا نمتلك بالفعل سلسلة من المحطات ، كانت تستخدم فى بداية القرن ، لإجراء بعض التجارب الفضائية المشتركة ، ثم لم تلبث أن أصبحت عتيقة الطراز ، مع إطلاق الجيل الجديد من أطباق البث الصناعية ، بعد الاحتلال مباشرة(*) ، ولم يعد استخدامها واردًا ، وهنا قامت قنواتنا الدبلوماسية بالاتصال بكل الدول ، التى توجد بها محطات البث ، لإخطارها بأننا سنعيد استخدامها ، للقيام ببعض التجارب العلمية المهمة ، ومع الحصول على موافقة الدول المعنية ، بدأنا فى إعداد سلسلة المحطات ، لبث تلك الذبذبة الخاصة .

أومأ (رمزى) برأسه ، قائلاً :

ـ عظيم .. هذا يوحى بالارتياح .

سألت (نشوى) فى اهتمام :

ـ وماذا عن ذلك الفارس الثانى ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بسبَّابته ، قائلاً :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

ـ الدكتورة (إلهام) ، خبيرة التفاعلات الحيوية ، اقترحت فكرة مبتكرة للغاية ، تعتمد على التغيرات الطفيفة ، التى تحدث فى الجينات ، من عصر إلى عصر .. تلك التغيرات التى تم كشفها عام ألفين وثلاثة ، والتى لم يكن من الممكن تصنيفها فيما مضى ، قبل اختراع الجيل السابع من أجهزة الكمبيوتر .. لقد افترضت الدكتورة (إلهام) أن فارسى الزمن أتيا من مدينة واحدة ، من مدن المستقبل ، أى أنهما ترعرعا فى ظروف واحدة ، مما يرجِّح وجود التغيرات الجينية نفسها عند كليهما ، ولو أننا أعدنا فحص البصمة الجينية لـ (طارق) ، وتركنا الكمبيوتر يقارنها بكل البصمات الجينية لدينا ، فمن المحتمل أن نتوصَّل إلى صاحب البصمة الجينية المقاربة ، التى تحوى نفس التغيرات الطفيفة ، وسيكون هو ، على الأرجح ، فارس الزمن الثانى .

انعقد حاجبا (رمزى) ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! إنها فكرة معقَّدة للغاية ، ولا تستند إلى قواعد علمية مؤكَّدة .

أدهشه أن تنهَّد الدكتور (ناظم) فى أسف ، مغمغمًا :

- هذا صحيح .
ثم استدرك فى سرعة :
- ولكننا نتشبَّث بأية لمحة ، يمكن أن تقودنا إلى ذلك الفارس الثانى .
وتنهَّد فى أسى ، متابعًا :
- لا يمكنك أن تتصوَّر كم يقلق هذا الأمر مؤسسة الرياسة كلها ، وخاصة بعد أن نجح ذلك الفارس المجهول فى اختراق نظامها الأمنى ، البالغ السرية .
هزَّت (نشوى) رأسها ، قائلة :
- هذا ليس بالأمر العسير .
التفت إليها الدكتور (ناظم) فى دهشة ، هاتفًا فى استنكار :
- ماذا تقولين يا (نشوى) ؟! ألا تدركين صعوبة شفرة الدخول إلى شبكة أمن الرياسة ؟! إنها مكوَّنة من ...
قاطعته فى هدوء :
- أعلم كل هذا يا دكتور (ناظم) .. لا تنس أننى خبيرة كمبيوتر من الطراز الأوَّل .. لقد درسنا نماذج للشفرات الأمنية شديدة التعقيد ، المشابهة لشفرة شبكة

أمن الرياسة السرية ، وهى تحتاج إلى وقت طويل للغاية ، لكشف أسرارها ، ومفاتيح الدخول إليها ، كما أنها مزوَّدة بنظام أمنى خاص ، يكشف كل محاولات التسلُّل ، ويضاعف من تعقيد الشفرة ، كلما انتقل المتسلِّل من نقطة إلى أخرى .. كل هذا صحيح .
وانعقد حاجباه ، وهى تكمل فى حزم :
- بالنسبة لزمننا هذا .
تراجع الدكتور (ناظم) فى دهشة ، قائلاً :
- ماذا تعنين ؟!
أجابته على الفور :
- أعنى أن برامج الكمبيوتر تتطوَّر بسرعة خرافية ، تفوق كل الصناعات والابتكارات الأخرى بعشرات الأضعاف ، وهذا يعنى أن ما يبدو شديد التعقيد اليوم ، لن يلبث أن يتحوَّل إلى أمر تقليدى ، بعد عام واحد ، فما بالك بفارس من المستقبل ؟!
اتسعت عيناه لحظة فى ارتياع ، قبل أن يقول مبهوتًا :
- يا إلهى ! أنت على حق يا (نشوى) .. على حق تمامًا .. إننا نواجه فارسًا مستقبليًا ، يمكنه التعامل

مع تكنولوجيتنا ، كما لو كانت لعبة طريفة ، من ألعاب زمنه .

ثم صمت بضع لحظات ، ارتسمت خلالها على وجهه علامات تفكير عميق ، ليتابع بعدها فى حزم شديد :

ـ وهذا يعنى أنه من المحتم أن نعثر على ذلك الفارس الثانى .. مهما كان الثمن .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع أزيز هاتف الفيديو ، فضغط (رمزى) زره ، قائلاً :

ـ هنا مقر فريق (نور) .

ارتسمت على الشاشة صورة أحد علماء مركز الأبحاث ، وهو يسأل فى توتر :

ـ هل يمكننى التحدُّث إلى الدكتور (ناظم) .. لقد أخبرونى أنه لديكم .

أجابه (رمزى) فى قلق :

ـ إنه هنا .. ماذا يحـ .....

قبل أن يتم عبارته ، أزاحه الدكتور (ناظم) من أمام الشاشة ، وهو يسأل العالم فى اهتمام بالغ :

ـ هل توصَّلتم إلى شىء ؟!

أجابه العالم بنفس التوتر :

ـ البصمة الجينية لذلك المستقبلى (طارق) ، تشابهت كثيرًا مع بصمة جينية خاصة للغاية .

سأله الدكتور (ناظم) فى قلق :

ـ أية بصمة تلك ؟!

غمغم العالم :

ـ سترى بنفسك .

وبضغطة زر واحدة ، نقل العالم صورتى البصمتين الجينيتين المتقاربتين إلى شاشة هاتف الفريق ..

واتسعت عينا الدكتور (ناظم) عن آخرهما ..

فقد كانت المفاجأة مذهلة ..

وإلى أقصى حد ..

★ ★ ★

بدا وجه (هملر) قائد الجستابو النازى ، صارمًا متجهمًا بشدة ، وهو يستمع فى اهتمام تام إلى كل ما يرويه له (كارل مانهايم) ، الذى راح يلوِّح بذراعيه فى انفعال ، قائلاً :

ـ ما أقوله ليس وهمًا أو تجنيًا يا هر (هملر) ، ولكنها كلها حقائق مجرَّدة ، ولدى أكثر من شاهد ،

على كل حقيقة منها ، فالجنرال (هولدشتاين) تظاهر بالحزم والصرامة ، مع الجواسيس الثلاثة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد سمح لهم بالفرار مرة ، وأمر رجالنا بعدم إطلاق النار عليهم مرة أخرى ، ثم أخذ يتصرَّف على نحو بالغ الغرابة مع الموقف ، مدعيًا أن الأمر بالغ السرية والخطورة ، على الرغم من أنكم فى القيادة تجهلون كل شىء عنه ، وأخيرًا اختفى تمامًا ، مع زعيمة المقاومة الفرنسية ، عندما هاجم هؤلاء بيت الثعالب ، على الرغم من أنه لم يمر بأى جندى من جنودنا ، فكيف يمكنك تفسير هذا ؟!

ظلَّ (هملر) صامتًا ، صارمًا ، متجهمًا ، مما شجَّع (كارل) على الاستطراد :

- الأكثر أهمية من هذا ، هو أن لدى ما يؤكِّد أن الجنرال (فريدريش هولدشتاين) شخصيًا ، هو الذى قتل الكولونيل (فون دارك) ، وليس رجال المقاومة .

انتفض (هملر) فى عنف ، عند هذه النقطة ، وقال فى حدة :

- هذا قول بالغ الخطورة يا (ماتهايم) .

أشار (كارل) بيده ، قائلاً :

- قلت إن لدى الدليل يا هر (هملر) .

مال (هملر) نحوه ، متسائلاً فى اهتمام :

- أين هو ؟!

أجابه (كارل) فى حماس :

- الحارسان الخاصان لمكتب الجنرال (هولدشتاين) ، أكَّدا أن الكولونيل (فون دارك) كان على قيد الحياة ، بعد هروب الجواسيس الثلاثة ، وأنه طلب مقابلة الجنرال ، وقضى معه بعض الوقت ، قبل أن يسمع الحارسان دوى رصاصته ، لم يريا بعدها الكولونيل على قيد الحياة قط .

ازداد انعقاد حاجبى (هملر) فى شدة ، على نحو عجيب ، وبدا وكأن التوتر الذى يملأ نفسه قد انتشر فى كيانه كله ، قبل أن يقول فى صرامة عصبية :

- إنه مجرَّد دليل ظرفى .

دسَّ (كارل) يده فى جيب سترته ، وأخرجها برصاصة طويلة ، بين سبَّابته وإبهامه ، وهو يقول فى حزم :

- وماذا عن هذه ؟!

حدَّق (هملر) فى الرصاصة ، متسائلاً فى حذر :

ـ وما هذه ؟!
أجابه (كارل) فى سرعة :
ـ الرصاصة التى قتلت الكولونيل (فون دارك) .. لقد استخرجها الطبيب الشرعى ، بناء على طلبى .. انظر إليها جيدًا يا هر (هملر) .. إنها ليست رصاصة عادية ، يمكن أن تنطلق من أى مسدس تقليدى .. إنها رصاصة خاصة ، من الطراز المستخدم فى مسدسات القادة فحسب .
ثم مال نحوه ، مستطردًا بلهجة خاصة :
ـ مثل مسدس الجنرال (فريدريش هولدشتاين) .
وصمت (هملر) تمامًا ..
بل غرق فى لجة عميقة من الصمت لدقيقة كاملة .. دقيقة ، بدت أشبه بدهر كامل ، بالنسبة لـ(كارل) ، قبل أن يشدّ (هملر) قامته فى مقعده ، ويقول فى صرامة :
ـ أرسل فى طلب ضابط اللاسلكى على الفور .. أريد التحدُّث إلى (الفوهلر) شخصيًّا .
ثم أضاف فى حدة :
ـ وحدى .
وعلى الرغم من حدته هذه ، اعتدل (كارل) بابتسامة عريضة على شفتيه ، وهو يقول :

ـ أوامرك يا سيِّدى الجنرال .
فالنظرة التى تطلّ من عينى (هملر) ..
واللهجة التى تحدَّث بها ..
وتلك الارتجافة الصارمة لشفتيه ..
كل هذه الأشياء كانت تؤكِّد أن (كارل مانهايم) قد نجح فيما يرمى إليه ..
وإلى أقصى حد ..

★ ★ ★

تألَّقت عينا (هولدشتاين) فى ظفر ، وهو يتطلَّع إلى الكرة الفضية الصغيرة ، فى قبضة (طارق) ، فى حين هتف (نور) فى مرارة :
ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟!
خفض (طارق) عينيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين قال (هولدشتاين) ، بلهجة شامتة ، ظافرة ، ساخرة :
ـ لم يكن أمامه سوى هذا .
قالها ، وامتدَّت يده تخترق أسطوانة الطاقة ، وهو يمسك حزامه فى قوة ، و ...
وفجأة ، اندفع (طارق) إلى الأمام ..

واتسعت عينا (أكرم) فى دهشة بالغة ، عندما رآه يخترق أسطوانة الطاقة ، وكأنها لم تكن ، ويلكم (هولدشتاين) لكمة كالقنبلة ، ألقت هذا الأخير مترين كاملين إلى الخلف ، قبل أن يرتطم بأحد أجهزته ، ويسقط أرضًا فى عنف ..

ولكن سقطة الشيطان لم تطل كثيرًا ..

بل ولم تتجاوز حتى الثانية الواحدة ..

لقد سقط أرضًا ، ثم وثب واقفًا على قدميه فى سرعة مذهلة ، واندفعت يده نحو حزامه ، وهو يهتف :

- أيها الـ ...

وثب (طارق) نحوه بخفة مدهشة ، وأمسك معصمه بقبضة من فولاذ ، قبل أن تبلغ أصابعه حزامه ، وقال فى صرامة :

- لا تحاول أيها الوغد .. نحن نعلم أن أجهزة التحكُّم كلها داخل حزامك هذا .. لقد انتبهنا إلى كل تحركاتك ، منذ فعلت بنا ما فعلت .

لطمه (هولدشتاين) فى قوة ، هاتفًا :

- وهل تعتقد أن بإمكانك التصدَّى لى ؟!

كانت اللطمة من العنف ، حتى إنها دفعت (طارق) إلى الخلف فى قوة ، إلا أنها لم تنجح فى إبعاد أصابعه عن معصم (هولدشتاين) ، فجذبه معه فى قوة ، ثم انقضَّ عليه مرة أخرى ، وهو يهتف :

- ليس أمامى سوى هذا .

ولكمه فى معدته لكمة كالمطرقة ، مستطردًا :

- مهما كانت النتائج .

انثنى (هولدشتاين) مع عنف اللكمة ، إلا أنه عاد يعتدل فى سرعة خرافية ، تشفَّ عن مدى قوته وفتوته ، وانطلقت من حلقه صرخة غاضبة مخيفة ، وهو يجذب (طارق) من سترته ، قائلاً :

- فليكن يا فارس الزمن .. فلتتحمَّل النتائج إذن .

تحرَّكت يدا (طارق) فى سرعة مدهشة ، قبل أن يقول ساخرًا :

- ولتتحمَّلها أنت أيضًا أيها الوغد .

تفجَّرت شياطين الغضب فى أعماق (هولدشتاين) ، عندما رأى حزامه فى قبضة (طارق) ، وصاح :

- اللعنة !

أطلق صيحة ، ورفع (طارق) عن الأرض بقوة خرافية ، ثم ألقاه نحو الحائط ..

وصاح (أكرم) فى غضب ، عندما رأى (طارق) يرتطم بالجدار فى عنف ، ثم يسقط أرضًا :

ـ لا تستسلم يا (طارق) .. قاتل يا فتى .. قاتل بكل قوتك .

ثم استطرد فى حنق ساخط :

ـ أريد أن أخرج من هنا .. لا يمكننا أن نترك (طارق) وحده .

هتف (نور) فى حماس :

ـ سنخرج يا (أكرم) .. سنخرج بإذن اللّه (سبحانه وتعالى) .

انطلق هتافه ، و (طارق) ينهض من سقطته ، ويواجه (هولدشتاين) ، الذى انقضَّ عليه كالثور الهائج ، صارخًا :

ـ مت يا فارس المستقبل .. مت .

انحنى (طارق) فى خفة ، متفاديًا لكمة كالقنبلة ، وجَهها إليه (هولدشتاين) ، ثم مال جانبًا ، للإفلات من ركلة قوية ، قبل أن يمسك حزام الجنرال بكفيه ، ويهوى به على وجهه بكل قوته ، هاتفًا :

ـ خذها أيها الوغد .

كانت الضربة من القوة ، حتى إن (هولدشتاين) أطلق شهقة عجيبة ، وهو يندفع إلى الخلف فى عنف ، ثم يهوى أرضًا بلا حراك .

وفى اللحظة نفسها ، تلاشى غلاف الطاقة ، المحيط بـ (نور) و (أكرم) ، فاندفعا معًا نحو (طارق) و (أكرم) يهتف :

ـ أخيرًا .

أما (نور) ، فقد انحنى يفحص (هولدشتاين) ، ثم نهض مغمغمًا فى توتر :

ـ لقد مات .

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ مات ؟! عجبًا ! الضربة لم تكن أبدًا بالقوة الكافية ، لقتل ثور مثله !!

أما (طارق) ، فقد تجاهل كل هذا ، وهو يقول فى عصبية :

ـ مازال غلاف الطاقة يحيط بـ (برجيت) .

كانت (برجيت) قد تهالكت تمامًا ، عند قاع الأسطوانة ، وقد ازداد احتقان وجهها بشدة ، وسرت فيه زرقة مخيفة ، وصدرها يعلو ويهبط فى صعوبة ،

وقد انسدل جفناها ليخفيا نصف عينيها ، على نحو يوحى بأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

وفى توتر بالغ ، هتف (نور) :

- يا إلهى ! إنها تحتضر .

أمسك (طارق) حزام (هولدشتاين) يفحصه فى توتر ، وهو يقول :

- كل أجهزة التحكُم هنا .. أنا واثق من هذا .. لقد راقبته وهو يفعل كل ما فعله بنا .. ولكن أين هو ؟! أين ؟!

تلفَت (أكرم) حوله فى توتر ، بحثًا عن أى شىء ، يصلح لتحطيم جدار الطاقة ، فى حين قال (نور) ، وهو يفحص الجدار المتألِق فى اهتمام :

- مهلاً .. هذه الأسطوانة تنبع من سقف الحجرة إلى أرضيتها ، وربما كانت إحدى النقطتين هى مصدر وجودها ، ولو أننا صنعنا حاجزًا بينها وبين السقف أو الأرضية ، فربما ...

قاطعه (طارق) فى توتر شديد :

- معذرة أيها القائد ، ولكن من الواضح أن هذا لن يصلح .. ليس لدينا الوقت الكافى للتجربة .

ثم عاد يفحص الحزام ، ويضغط كل نقطة منه فى توتر أكثر ، قائلاً :

- جهاز التحكُم هنا .. مكان ما يمكننا أن نضغطه ، فتتلاشى أسطوانة الطاقة هذه .

هتف (أكرم) ، وهو يختطف مقعدًا ثقيلاً :

- لن يضيرنا أن نقوم بمحاولة ما .

قالها ، وهوى بالمقعد بكل قوته ، على أسطوانة الطاقة ..

ودوت فى المكان طرقعة قوية مخيفة ، وتألًق كله بضوء أزرق مبهر ، فى حين شعر (أكرم) وكأنما أصابته صاعقة قوية ، سرت فى جسده ، ودفعته إلى الخلف فى عنف ، فطار فى الهواء عبر الحجرة ، وارتطم بجدارها كالقذيفة ، ثم سقط على وجهه أرضًا ، وهو يهتف :

- اللعنة ! هذا مؤلم للغاية .

حاول النهوض فى صعوبة ، إلا أن كل خلية فى جسده كانت تئن وتشكو ، وتعانى آلامًا رهيبة بلا حدود ، مما جعله يستلقى أرضًا ، ويغمغم :

- أى عبث شيطانى هذا ؟!



هتف (أكرم) ، وهو يختطف مقعدًا ثقيلاً :

ـ لن يضيرنا أن نقوم بمحاولة ما !

هتف به (نور) :

ـ لقد استخدمت مقعدًا معدنيًا ، لضرب جدار من الطاقة ، وهذا رد فعل طبيعى .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، دون أن يحاول النهوض ، فى حين هتف (طارق) :

ـ يا إلهى ! لا بد أن نجد وسيلة ما .. لا يمكننى أن أراها تحتضر أمامى على هذا النحو .

تمتم (أكرم) فى مرارة :

ـ اللعنة ! اللعنة ! إننى لم ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، وهو يحدِّق فى جسد (هولدشتاين) ، الملقى أرضًا ، فى دهشة بالغة ..

لقد رأى أصابع الجنرال الشيطانى تتحرَّك ..

ليس لديه أدنى شكّ فى هذا ..

لقد رأى الحركة بعينيه !!

ولكن مستحيل !

(هولدشتاين) لقى مصرعه ، كما قال (نور) .. مات بضربة من حزامه ..

هذا ما رآه بنفسه ..

وانفرجت شفتاه ، ليهتف محذِّرًا (نور) و(طارق) ، لولا أن الأوَّل هتف فى حزم :

- انتظر يا (طارق) .. لقد تلاشت أسطوانة الطاقة المحيطة بنا ، عندما هويت بالحزام على وجه (هولدشتاين) .

اتسعت عينا (طارق) ، وهو يهتف :

- آه .. أنت على حق أيها القائد .

ثم رفع يده بالحزام ، صائحًا :

- ربما كان هذا هو الحل ..

رآه (أكرم) يهوى بالحزام ، على الجدار ، بكل ما يملك من قوة ، فهتف :

- لا .. ليس هكذا !

ومع آخر حروف كلماته ، ارتطم الحزام بالجدار ..

وكانت الفرقعة قوية عنيفة هذه المرة ..

كانت أشبه بانفجار ، دفع (طارق) و (نور) إلى الخلف فى قوة ، ليسقطا أرضًا فى عنف ، والمكان كله يتألّق بضوء مبهر ..

مبهر للغاية ..

ثم ساد هدوء رهيب مباغت ..

واستقرَّت الأجساد كلها أرضًا ، فى صمت وسكون مخيفين ..

ولثوان ، لم تصدر عن أحد أدنى حركة ..

ثم تحرَّك أحد الأجساد حركة عنيفة ، قبل أن يرفع صاحبه رأسه ، وينهض فى بطء ، ويلقى نظرة مخيفة على الآخرين ، الذين بدوا أشبه بالجثث الهامدة ..

وكان صاحب ذلك الجسد ، هو آخر شخص ينبغى أن يستيقظ ، فى هذه اللحظة الحرجة ..

كان (هولدشتاين) ..

الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ..

الشيطان .

* * *



٦ - نبض السكون ..

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، وهو يقرأ تقرير مقارنة البصمات الجينية للمرة الخامسة ، قبل أن يرفع عينيه إلى الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

- ولكن كيف حدث هذا ؟! الأمر عمليًا غير منطقى أبدًا .

هزَّ الدكتور (ناظم) رأسه ، وهو يقول فى توتر :

- أنا أيضًا فى حيرة من أمرى أيها القائد ، ولكننى راجعت نتائج الكمبيوتر مرتين بنفسى ، ولم يكن هناك مجال لأدنى خطأ .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، مغمغمًا :

- عجبًا !!

وعاد يتطلَّع إلى التقرير مرة أخرى ، قبل أن يسأل :

- وكيف يمكن أن يحدث هذا فى رأيك ؟!

صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، ثم أجاب :

- المفترض علميًا ، ألا تتشابه البصمات الجينية قط

إلا بالنسبة لأقارب الدرجة الأولى وحدهم ، أما التطابق ، فهو مستحيل تمامًا ، حتى بين التوائم المتشابهة ، إذ لا بد من وجود فارق ، ولو ضئيل للغاية(*) .. وفى حالتنا هذه ، نجد تشابهًا مدهشًا ، بين البصمة الجينية لفارس المستقبل (طارق) ، وبصمة رجلنا الجينية ، وهذا يمكن أن يشير إلى أنهما قريبين من الدرجة الأولى .. شقيق وشقيقه ، أو والد وابنه .. ولكن رجلنا شخص لا يمكن أن تتطرَّق إليه الشكوك قط ، ومن المستحيل أن يكون هو فارس الزمن الثانى ، مهما كانت الأسباب !

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، وقال :

- هذا صحيح .

أشار الدكتور (ناظم) بسبَّابته ، قائلاً :

- فى هذه الحالة ، يكون أمامنا الاحتمال الثانى والأخير .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام ، وهو يشبك أصابعه أمام وجهه :

- وما هو ؟!

(*) حقيقة علمية .

أجابه الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- الواحد فى كل سبعة ملايين .

أطلَّ التساؤل من عينى القائد الأعلى ، فتابع الدكتور (ناظم) ، فى اهتمام :

- من الناحية العلمية أيضًا ، يحتمل أن تتشابه البصمة الجينية لرجلين ، فى كل سبعة ملايين حالة ، ولكن هذا يحدث فى المجتمعات المغلقة وحدها ، التى لا يتزاوج أفرادها إلا من بعضهم .

سأله القائد الأعلى ، فى حذر متوتر :

- وما صلة هذا بما لدينا ؟!

صمت الدكتور (ناظم) لحظة ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، قائلاً :

- نحن لا ندرى ماذا سيحدث فى المستقبل !

شاركه القائد الأعلى صمته هذه المرة ، ثم سأل فى صرامة عصبية :

- هذا لا يحل مشكلة فارس الزمن الثانى .

تنهَّد الدكتور (ناظم) ، مغمغمًا :

- بل أظنه أضاف إلينا المزيد من الغموض .

ولمرة أخرى ، ران عليهما صمت مهيب ..

صمت يحمل عشرات الأسئلة ..

بلا جواب ..

★ ★ ★

نهض (هولدشتاين) فى بطء ، وسط ذلك الصمت الرهيب ، داخل وكره السرى ، ووقف على قدميه ، يتطلَّع إلى (نور) و (أكرم) ، و (طارق) ، و (برجيت) ، الذين سقطوا فاقدى الوعى ، بعد أن تحرَّرت الأخيرة من أسطوانة الطاقة ، التى أحاطت بها ..

وفى غضب مكتوم ، أدار الجنرال عينيه فيما حوله ، قبل أن يهتف :

- اللعنة !

انطلق هتافه ، وهو يضغط زرًّا خاصًا فى سترته ، ليوقف عمل جهاز الأمن ، الذى خفَّض نبضات قلبه إلى أدنى حد ، عندما فقد الوعى ، ليوحى بموته ، ثم استدار يفحص أجهزته الخاصة ، مغمغمًا :

- كل شىء على ما يرام .

وعاد يتطلَّع إلى الأربعة الفاقدى الوعى ، قبل أن يخرج من جيبه جهاز اتصال صغيرًا ، ويقول عبره فى صرامة :

- هنا الجنرال (هولدشتاين) .. فليبدأ تنفيذ الخطة (ب) .

ألقى نظرة على الجميع مرة أخرى ، ثم التقط حزامه المحطَّم ، وأخذ يفحصه فى سرعة واهتمام ، ليهتف بمنتهى السخط :

- اللعنة ! لقد أتلف ذلك المجنون كل أجهزة التحكُّم عن بعد .. لا انتقال آنيًّا بعد الآن .

كان يشعر بحنق لا حدود له ، ولكنه تجاهل مشاعره كالمعتاد ، وانحنى يجذب (نور) الفاقد الوعى نحو مقعد خاص فى ركن الحجرة ، بدا بحجمه الضخم ، والأسلاك المتصلة به ، أشبه بالكرسى الكهربى(*) ، وراح يضعه عليه فى إحكام ، ثم يوصل جسده ببعض الأسلاك ، وهو يتمتم فى وحشية عجيبة :

- ما دمت لست الشخص ، الذى يحمل مفتاح مقاتلة الزمن ، فسيسعدنى للغاية أن أعدمك بنفسى

(*) الكرسى الكهربى : وسيلة أمريكية لإعدام المجرمين ، فى جرائم القتل العمد واختطاف الأطفال ، وهو عبارة عن مقعد تتصل به أسلاك كهربية سميكة ، يسرى فيها تيار قوى ، يزيد على ثلاثة آلاف فولت ، مع طاقية معدنية ، توضع على رأس المحكوم عليه ، بحيث يلقى مصرعه فى لحظات قصار .

أيها الرائد (نور) ، يا أعظم رجل أمن عرفه التاريخ ، كما تقول عنك المراجع المجسَّمة فى عصرى .

كان يحكم وضع (نور) على مقعد الإعدام ، وهو يواصل :

- لن يمكنك أن تتصوَّر كم سيبهجنى هذا .. إنَّه ليس كرسيًا كهربيًّا تقليديًّا قديمًا ، كما ستكتشف بنفسك ، عندما تسرى فى جسدك طاقة صافية ، لا يمكن لأى جسد بشرى احتمالها .

ثم قهقه على نحو عجيب ، متابعًا :

- سيتحوَّل جسدك ، فى لحظة واحدة إلى كومة من الرماد .. حفنة رمادية داكنة ، هل كل ما سيتبقَى من أعظم عقلية بوليسية عرفها العالم .. يا لها من سخرية !

وضحك مرة أخرى ، وهو يضع اللمسة الأخيرة ، ويتراجع مستطردًا :

- إنك لن تعرف حتى من هو (طارق) هذا ، الذى لم أنتبه إلى هويته ، إلا وهو يقف إلى جوارك ، داخل أسطوانة الطاقة .. لن تعرف قط .

أتاه صوت من خلفه ، يقول فى صرامة عصبية :

- أينطبق علىَّ هذا أيضًا ؟!

استدار (هولدشتاين) فى سرعة مدهشة ، نحو مصدر الصوت ، وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما وقع بصره على (أكرم) ، الذى نهض فى صعوبة ، وهو يصوِّب إليه مسدسه التقليدى ، مستطردًا فى صرامة :

- هيا .. كن لطيفًا يا جنرال الأوغاد ، وأخبرنى .. ما هوية (طارق) الحقيقية ؟!

تراجع (هولدشتاين) خطوة فى حذر ، وهو يقول فى عصبية :

- كيف استعدت وعيك بهذه السرعة ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يبذل جهدًا خرافيًّا ، للوقوف على قدميه ، والسيطرة على اتزانه :

- ربما كان هذا لسوء حظك فحسب .

ثم هتف فى غضب ، والحجرة كلها تدور أمام عينيه :

- هيَّا .. كف عن تراجعك يا رجل ، وإلا نسفت رأسك برصاصة من مسدسى هذا .

وثبت يد (هولدشتاين) فى سرعة ، لتقبض على ذراع معدنية صغيرة ، فى مسند المقعد ، الذى يجلس عليه (نور) ، وهو يهتف :

- إننى أتساءل : هل ستجرؤ حقًّا على هذا ؟!

صاح به (أكرم) ، بكل ما تبقَّى فى جسده من قوة :

- هل ترغب فى خوض التجربة ؟!

تشبَّثت أصابع (هولدشتاين) بتلك الذراع المعدنية أكثر ، وهو يجيب :

- ولِمَ لا ؟! ستكون تجربة رهيبة لكلينا بالتأكيد .. أنت تطلق النار علىَّ ، وأنا أسحق قائدك (نور) سحقًا .

بدا التوتر واضحًا ، فى ملامح (أكرم) وصوته ، وهو يقول :

- لن يمكنك أن تفعل .. سأقتلك قبل أن ...

قاطعه (هولدشتاين) فى سخرية :

- خطأ أيها الهمجى .. خطأ .. حتى لو أطلقت النار على رأسى مباشرة ، فستجذب يدى تلك الذراع الصغيرة عند سقوطى ، فتنطلق دفعة رهيبة من الطاقة ، عبر تلك الأسلاك ، وتسرى فى جسد قائدك ، فتحيله إلى أثر بعد عين .

تابعت عينا (أكرم) تلك الأسلاك ، التى أشار إليها (هولدشتاين) ، وهو يغمغم فى عصبية :

- إنك تحاول خداعى .

قهقه (هولدشتاين) ضاحكًا ، وهو يقول :

- خداعك ؟! ولماذا أحاول أيها الهمجى .. إنك أقلّهم ذكاءً وبراعة .. كل مواهبك تقتصر على القفز والنشاط .. وإطلاق النار ، مثل أبطال العصور التقليدية .. لن يمكنك قط مواجهة عقليات علمية مثلنا .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يتابع الأسلاك بعينيه مرة أخرى ، فى نفس الوقت الذى انطلقت فيه آهة صغيرة خافتة ، من بين شفتى (طارق) ، وهو يستعيد وعيه فى صعوبة ، فى حين هتف (هولدشتاين) فى صرامة شرسة :

- هيا .. اتخذ قرارك فى سرعة أيها الهمجى .. هل ستلقى مسدسك ، أم أجذب الذراع ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (أكرم) ، وبدت عليه علامات التفكير العميق لبضع لحظات ، قبل أن يشدّ قامته ، ويقول فى حزم وصرامة :

- إنك ستجذبها على أية حال ..

قال (هولدشتاين) فى حدة :

- ما الذى يعنيه هذا ؟

رفع (أكرم) مسدسه فى سرعة ، هاتفًا :

- يعنى أننى اتخذت قرارى أيها الوغد .

ومع آخر حروف عبارته ، وفى حركة واحدة تقريبًا ، أطلق (أكرم) النار ، وجذب (هولدشتاين) ذراع مقعد الموت فى اللحظة نفسها ..

وبكل قوته ..

★ ★ ★

انتفض جسد (نور) فى عنف ، مع دوى الرصاصة ، واعتدل رأسه بحركة حادة ، وهو يفتح عينيه ، محدّقًا فيما أمامه ..

كان (أكرم) يقف على مسافة ثلاثة أمتار منه ، والدخان يتصاعد من فوهة مسدسه ، ومن خلفه ينهض (طارق) فى صعوبة ، ويحاول مساعدة (برجيت) ، التى تتأوّه فى ضعف ، وكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة ..

وإلى جواره ، كان يقف (هولدشتاين) ، ممسكًا ذراعًا صغيرة ، متصلة بمسند ذلك المقعد الصغير ، الذى قُيِّدت إليه ذراعاه وساقاه ..

ولوهلة ، لم يفهم (نور) ما يحدث ..

كل ما لاحظه هو أن وجه (هولدشتاين) محتقن بشدة ، فى حين ترتسم ابتسامة ساخرة كبيرة ، على شفتى (أكرم) ، وهو يقول :

ـ معذرة أيها الوغد ، ولكن هل لك أن تكرر محاضرتك السخيفة حول همجيتى ، وضعف عقليتى العلمية أمام عقولكم .

تمتم (هولدشتاين) بصوت مبحوح ، من فرط الانفعال :

ـ كيف .. كيف فعلتها ؟!

أجابه (أكرم) فى سخرية :

ـ لم يكن الأمر بحاجة إلى عبقرية فريدة ، لأفهم الموقف كله أيها الوغد .. لقد عدت من الموت بوسيلة ما ، وحاولت سحق (نور) ، على ذلك المقعد السخيف .. ثم أخبرتنى بنفسك أن الطاقة التى ستسحقه ، تسرى عبر تلك الأسلاك .

ولوّح بسبَّابة يسراه ، مضيفًا :

ـ وكان هذا أكبر خطأ ارتكبته .

عضّ (هولدشتاين) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ بالتأكيد .

تضاعفت نبرة الشماتة والسخرية فى صوت (أكرم) ، وهو يجذب إبرة المسدس مرة أخرى ، مكملا :

ـ ولهذا لم يكن من المنطقى أن أطلق النار عليك يا جنرال الأوغاد ، وإنما على تلك الأسلاك ، التى تحمل فيض الطاقة .

وأطلق ضحكة ساخرة ، مستطردًا :

ـ وببساطة شديدة ، انتصرت عقليتى الهمجية البسيطة ، على عقليتك العلمية الفذّة ، يا جنرال الأوغاد .

أدار (هولدشتاين) عينيه فى الجميع فى حذر ، وهو يقول :

ـ ربما فى هذه المرة فحسب .

صوّب إليه (أكرم) مسدسه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ لن تكون هناك مرة قادمة .

ولكن (هولدشتاين) وثب إلى الخلف ، بحركة غاية فى الرشاقة ، ومال جانبًا بخفة مدهشة ، متفاديًا تلك الرصاصة ، التى أطلقها نحوه (أكرم) ، والتى دوت فى المكان كالقنبلة ، قبل أن يقفز متجاوزًا باب الحجرة ، ويضغط زرًّا خفيًّا فى إطاره ، وهو يطلق ضحكة شيطانية عالية ، ارتجّ لها المكان كله ..

وعلى الرغم من ضعفه وتهالكه ، هتف (طارق) :

ـ لا .. لا تسمحوا له بالفرار .

وقاوم (نور) قيوده فى صعوبة ، فى حين وثب (أكرم) ، محاولاً اللحاق بالجنرال الشيطانى ، و ...

ولكن حاجزًا شفافًا سميكًا هبط فجأة ، عند باب الحجرة ، فارتطم به (أكرم) فى قوة ، وارتدّ فى عنف ، و(هولدشتاين) يطلق ضحكة ساخرة أخرى ، قائلاً :

ـ فات الأوان أيها الهمجى .. قلت لك : إنك لن تتفوّق قط على عقلية علمية فذّة مثلى .

وعاد يدير عينيه فى وجوههم ، وتوقّف لحظة عند (طارق) ، الذى حلّ قيود (نور) فى سرعة ، ثم تابع فى صرامة شرسة :

ـ لقد أصبحتم معزولين داخل هذه الحجرة ، واشتعل فى الوقت ذاته جهاز دفاعى آخر ، ولن تمضى دقيقة واحدة ، حتى تنطلق خيوط الليزر القاتلة ، من كل مكان بالسقف ، لتصنع شبكة محكمة ، تسحق كل كائن حى يعترضها .. وبلا رحمة .

ومال نحو الحاجز الشفاف السميك ، الذى يفصله عنهم ، مضيفًا فى شماتة ظافرة :

ـ دقيقة واحدة ، وينتهى أمركم تمامًا .

قال (طارق) فى حدة :

ـ وماذا عن المقاتلة الزمنية ؟! هل ستتنازل عن فكرة الحصول عليها ؟!

هزّ (هولدشتاين) رأسه ، قائلاً بابتسامة ساخرة :

ـ مطلقًا .. إنك تحمل مفتاح التوصّل إليها ، وسألتقط تلك الكرة الفضية من بين أشلائك ، عندما تنتهى خيوط الليزر من عملها .

أجابه (طارق) فى سرعة :

ـ تلك الكرة الفضية ؟! هل خدعك هذا يا رجل ؟! إنها ليست مفتاح الحصول على مقاتلة الزمن بالتأكيد .. بل هى آخر سلاح تبقّى لى ، من أسلحتى المستقبلية .. إنك لن تحصل على شىء بعد موتى .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) لحظة ، ثم قال فى صرامة :

ـ سأجد وسيلة ما داخلك .. هذا ما كانوا يتبعونه فى زمنك .. شىء ما يتم زرعه داخلك ، ليربط بينك وبينها .. سأعثر عليه حتمًا .. صدقنى .

انعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، على نحو يوحى

بأن (هولدشتاين) على حق ، فقهقه هذا الأخير ساخرًا ، وألقى نظرة على ساعته ، قائلاً :

- ست وأربعون ثانية فحسب .. الوداع يا مغامرى المستقبل .. ربما التقينا ثانية فى الجحيم .

قالها ، واستدار يغادر المكان كله ، فصاح (أكرم) فى غضب ، وهو يطلق النار على ذلك الجدار الشفاف :

- اذهب إلى الجحيم وحدك أيها الوغد .

ارتطمت رصاصاته بالحاجز المنيع ، وارتدَّت عنه فى عنف ، فهتفت (برجيت) مذعورة ، وهى تحمى رأسها بذراعها :

- احترس يا (أكرم) .. ستقتلنا يا رجل .

هتف بها فى مرارة :

- أنا ؟! وماذا عن خيوط الليزر ، التى تحدَّث عنها ذلك الوغد ؟! هل ستكتفى بدغدغتنا فحسب ؟!

كان (نور) يفحص أجهزة الوكر فى اهتمام ، وهو يقول :

- ربما أمكننا إيقاف عملها ، قبل أن تبدأ .

تنهَّد (طارق) ، قائلاً :

- لن يمكننا هذا .. كل أجهزة التحكُّم فيها خارج الحجرة .

ثم اتجه نحو (أكرم) ، قائلاً فى حزم :

- هل يمكنك أن تعيرنى هذا المسدس ؟!

ناوله (أكرم) المسدس ، وهو يسأله فى حيرة :

- ولماذا ؟!

أجابه (طارق) فى صرامة ، وهو يصوِّب المسدس نحو أحد الأجهزة ، التى يكتظ بها المكان :

- لو أنه لم تتبقَ فى حياتى سوى لحظة واحدة ، فسأنفقها فى محاولة تدمير جهاز البث الكونى هذا .. لا بد أن نمنع ذلك الوغد من إرسال تلك الرسالة ، التى ستنسف مجموعتنا الشمسية كلها .

قالها ، وأطلق رصاصات المسدس كلها نحو الجهاز ، الذى تحطَّمت شاشته وأزراره ، وتطايرت أجزاؤه على نحو عنيف ، و (نور) يتطلَّع إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى أنه لم يعد أمامهم سوى ست عشرة ثانية ؟!

خمس عشرة ..

أربع عشرة ..

ثلاث عشرة ..

وكان هذا يعنى أن الوقت يمضى بسرعة البرق ..

وأن المـوت سـيلتهمهم حتمًـا ، داخـل وكـر (هولدشتاين) ، كما قال ذلك الأخير تمامًا ..

بـلا رحمـة ..

★ ★ ★

« يبدو أنه لا فائدة يا (نور) .. »

نطق (أكرم) العبارة فى يأس ، وهو يتطلَّع إلى الساعة القديمة التى يرتديها ، والتى أشارت عقاربها ، التى تعدو كخيل السباق ، إلى أنه لم يعد أمامهم سوى سبع ثوان فحسب ..

سبع ثوان ، وتنطلق خيوط الليزر من السقف .. وتسحقهم سحقًا ..

ست ثوان ..

خمس ..

ولكن (نور) لم يكن من ذلك الطراز ، الذى يمكن أن يستسلم ..

لم يكن من ذلك الطراز أبدًا ..

لقد انطلق عقله ، يبحث عن وسيلة للخروج من تلك الأزمة ..

أية وسيلة !!

وفجأة ، هتف برفاقه ، الذين بلغ بهم اليأس مبلغه :

ـ أسرعا .. دعونا ننتزع ذلك الجانب المصقول من المنضدة ..

اندفع (أكرم) و (طارق) نحـوه ، دون أن يلقى أحدهما سؤالاً واحدًا ، وتعاون الثلاثـة لجذب الجانب المصقول للمنضدة ، و (برجيت) ترتجف كعصفور مبتل ، وتتساءل : مـا الـذى يسعى إليـه (نـور) بالضبط ، والثوانى تمضى بهذه السرعة ..

أربع ثوان ..

ثلاث ..

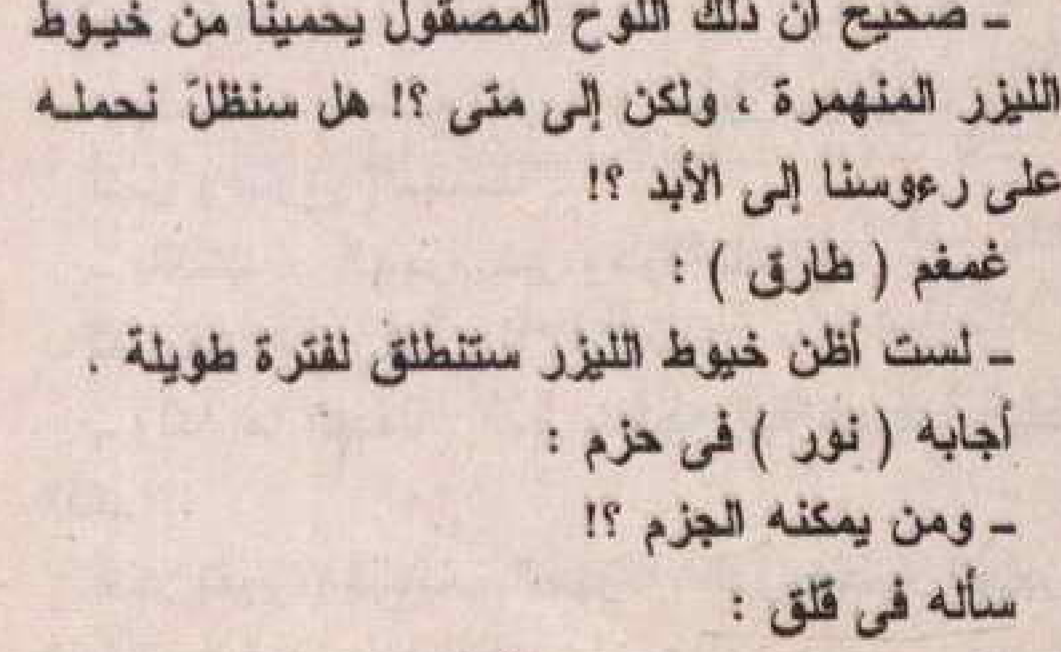
اثنتان ..

وانـتزع الثلاثـة ذلـك اللـوح المصقـول ، وصـاح (نور) :

ـ (برجيت) .. أسرعى .. تحت اللوح .

قالها ، وهو يرفع اللـوح المصقول فوق رءوسهم كالمظلة ، فوثبت (برجيت) تحتمى به بدورها ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها خيوط الليزر الرفيعة ، بصوت أشبه بفحيح ألف ألف أفعى ..

وارتطمت عشرات الخيوط القاتلة باللوح المصقول ..



وتعاون الثلاثة لجذب الجانب المصقول للمنضدة ، و (برجيت) ترتجف كعصفور مبتل !

ثم انعكست عنه ، كما يحدث لأى شعاع فى الضوء ..

وهتف (أكرم) مبهورًا :

- ربّاه ! إنها فكرة عبقرية بحق يا (نور) .. ذلك الوغد صنع أدواته من مواد مصقولة ، بحيث لا تفسدها خيوط الليزر ، إذا ما اقتضى الأمر إطلاقها ، وأنت استخدمت ذلك اللوح المعدنى اللامع ، لتعكس عنا أشعة الليزر ، وتحمينا من تأثيرها .. يا لك من عبقرى ! لقد أنقذتنا تمامًا .

أجابته (برجيت) فى عصبية :

- ولكن إلى متى ؟!

التفت إليها فى قلق ، فتابعت فى حدة :

- صحيح أن ذلك اللوح المصقول يحمينا من خيوط الليزر المنهمرة ، ولكن إلى متى ؟! هل سنظلّ نحمله على رءوسنا إلى الأبد ؟!

غمغم (طارق) :

- لست أظن خيوط الليزر ستنطلق لفترة طويلة .

أجابه (نور) فى حزم :

- ومن يمكنه الجزم ؟!

سأله فى قلق :

ـ هل تعتقد أن (هولدشتاين) سيتركها تنطلق هكذا طويلاً ؟!

أجابه بسرعة :

ـ ربما لا يرغب فى ترك أى شىء للمصادفة .. إنها ستنطلق طويلاً ، ليضمن القضاء علينا تمامًا ، ثم إن حرارة الحجرة سترتفع إلى حد لا يطاق ، كما ولا بد أنكم قد لاحظتم .

سألته (برجيت) مذعورة :

ـ ماذا سنفعل إذن ؟!

أجابها فى حزم :

ـ لا نكتفى بالدفاع فحسب .

هتف (أكرم) فى حماس :

ـ بالضبط .. سنتبع نظرية (نابليون بونابرت) .

أكمل (طارق) مبتسمًا .

ـ بالتأكيد .. الهجوم خير وسيلة للدفاع .

ثم التفت إلى (نور) ، يسأله :

ـ ولكن ما الهدف ، الذى سيتجه إليه هجومنا أيها القائد ؟!

أشار (نور) إلى باب الحجرة ، الذى يغطيه الحاجز الشفاف المنيع ، مجيبًا فى حزم :

ـ إطار هذا الباب .

نطقها ، وهو يميل باللوح المصقول قليلاً ، فانحرفت خيوط الليزر ، بعد ارتطامها ، وانطلقت كلها نحو إطار الباب .

ومرة أخرى ، انطلق فى المكان صوت أشبه بفحيح تنين عملاق ، وغمغمت (برجيت) :

ـ تلك الأشياء المستقبلية مخيفة ، ولكن هل ..

لم تتم سؤالها ، مع تلك النيران ، التى انبعثت من إطار الباب ، قبل أن تنطلق فرقعة قوية عنيفة ، ويهوى الباب كله كتلة واحدة ، مرتطمًا بالأرض ..

وشهقت (برجيت) غير مصدِّقة ، فى حين قال (نور) بلهجة آمرة :

ـ لا تندفعوا .. تحرَّكوا جميعًا بخطوة رجل واحد ، حتى نبلغ الباب .. هيَّا .

ظلّوا يحملون اللوح المصقول فوق رءوسهم ، حتى بلغوا الباب ، فهتف (نور) :

ـ الآن .

وثب أربعتهم دفعة واحدة عبر الباب ، تاركين اللوح المصقول يهوى خلفهم ، ويرتطم بالأرض فى عنف ،

وخيوط الليزر تنعكس فوقه ، لترتطم بأجهزة (هولدشتاين) العديدة ، فى كل الاتجاهات ..

وفى حماس ، هتف (أكرم) :

- ربّاه ! لقد نجونا !

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وتنهّد فى عمق ، متمتمًا :

- المهم أننى أنهيت مهمتى .

تطلّع إليه (نور) فى صمت ، فى حين هتف (أكرم) :

- حقًا ؟! أتعنى أن الأرض لن تواجه تلك القنبلة الرهيبة ، التى تهدّد المجموعة الشمسية كلها بالفناء ، أو تلك التى صنعت الدوّامة ، التى كادت تهلكنا على كوكب الطغاة(*) ؟!

هزّ (طارق) رأسه فى قوة ، قائلاً :

- كلا .. الرسالة الأولى تم إرسالها بالفعل ، وهذا يعنى أن القنبلة الأولى ستنطلق ، وسيحدث منها كل ما مررتما به ، أما القنبلة الثانية ، فقد منعنا إطلاقها ،

(*) راجع قصة (الدوّامة) .. المغامرة رقم (١٠٩) .

عندما نسفنا جهاز البث الكونى ، قبل أن يرسل (هولدشتاين) رسالته الثانية !

بدت الحيرة على وجه (أكرم) ، وهو يسأله :

- ولكن لو أن القنبلة الثانية لم تنطلق ، فما الذى سيبرّر رحلتك عبر الزمن ؟!

هزّ (طارق) رأسه نفيًا ، وقال :

- ربما ستكون عندئذ ، مجرّد رحلة استكشافية .

سأله فى إصرار :

- وكيف سيعلمون إذن أنك قد نجحت فى مهمتك ، ما دامت لا توجد أية مهمة على الإطلاق ؟!

ارتسمت ابتسامة باهتة ، على شفتى (طارق) ، وهو يتطلّع إلى (نور) بضع لحظات ، ثم يقول فى حزم واثق :

- اطمئن .. سيعلمون .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين غمغم (أكرم) :

- كيف ؟!

أجابته (برجيت) فى سرعة :

- أنتم ستخبرونهم .

التفتت إليها العيون ، فتابعت :

ـ أعنى أنكم تعلمون ما حدث ، وعندما تعودون إلى عصركم ، ستدونون كل هذا ، وسيقرؤه المستقبل كله .

قال (نور) فى خفوت :

ـ هذا لو عدنا إلى عصرنا .

أصابتهم عبارته هذه فى الصميم ، فلاذوا بالصمت بضع لحظات ، ثم قال (أكرم) فى حزم مباغت :

ـ دعونا نبذل قصارى جهدنا فحسب .

ثم أطلّت نظرة خبيثة من عينيه ، وهو يخرج جسمًا بيضاويًّا من جيبه ، مستطردًا :

ـ وبالمناسبة .. لقد أحضرت هدية لصديقنا (هولدشتاين) .

وانتزع زناد القنبلة اليدوية العتيقة ، التى يحملها فى راحته ، ثم ألقى بها داخل حجرة الأجهزة ، هاتفًا :

ـ اخرجوا بأقصى سرعة .

انطلقوا جميعًا يعدون خارج المنزل ..

ومن خلفهم ، دوىّ الانفجار ..

ومع الدوىّ والموجة التضاغطية ، اندفعت أجسادهم

إلى الأمام فى عنف ، وطارت فى الهواء لمتر أو يزيد ، قبل أن تسقط أرضًا وتتطاير الشظايا الرفيعة من حولها ..

ولقد استغرق هذا ثوانى قليلة ، قبل أن تهدأ الأمور ، ويهتف (أكرم) ، وهو يرفع عينيه إلى ما أمامه :

ـ كم حلمت بهذه اللحظة ، منذ أن ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وشاركه الجميع انفعاله ودهشته ، عندما انبعث من على بعد أمتار قليلة منهم ، صوت صارم ساخر ، يسأل :

ـ منذ ماذا يا هر (أكرم) ؟!

وانتفضت أجسادهم كلها ، وهم يحدقون فى الجنرال (فريدريش هولدشتاين) ، وتلك الفرقة من جنود النازية ، الذين أحاطوا بهم ، وأفواه مدافعهم الآلية مصوبة فى تحفز ، نحو رءوسهم .. مباشرة .

★ ★ ★

٧ - وجهًا لوجه ..

تطلّعت (نشوى) فى إشفاق ، إلى أمها ، التى انهمكت فى تركيب أجهزة البث الخاصة ، فى المحطة الأرضية الرئيسية ، على مشارف (القاهرة الجديدة) ، ثم اقتربت منها ، وربّتت على كتفها فى حنان ، قائلة :

- أمى .. إنك تحتاجين إلى قليل من الراحة ، فلم يغمض لك جفن ، منذ مساء الأمس .

تنهّدت (سلوى) قائلة فى توتر :

- لا بد من إتمام هذا العمل ، بأسرع وقت ممكن .

قالت (نشوى) فى إشفاق :

- هذا صحيح ، وهناك فريق كامل من العلماء والفنيين ، يشرف على هذا ، فلا داعى لإجهاد نفسك أكثر مما ينبغى ، وخاصة مع الأشهر الأولى للحمل .

لم تجب (سلوى) بحرف واحد ، وإنما بدت شديدة العصبية ، وهى توصل أحد الأسلاك ، فهمست (نشوى) :

- أماه !

لم تكد الكلمة تتجاوز شفتيها ، حتى انفجرت (سلوى) باكية ، وانهمرت الدموع من عينيها كالمطر ، فأحاطت (نشوى) كتفيها بذراعها ، وقالت متعاطفة :

- إنه ليس الحمل أو التعب .. أليس كذلك ؟!

أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا ، وهى تحاول تجفيف دموعها ، قائلة :

- بلى .. إننى لا أستطيع منع نفسى من التفكير فيما فعله الدكتور (ناظم) .

ثم التفت إليها ، مستطردة فى حدة :

- لماذا أخفى عنا ما توصّل إليه العلماء ، بشأن الفحص الجينى ؟! ولماذا بدا شديد الاضطراب ، وهو يحاول عبثًا إقناعنا بضرورة عودته إلى مكتبه لسبب عاجل آخر ؟! ما الذى دعاه إلى كل هذا ؟! ما الذى يحاول إخفاءه عنا ؟!

أصابت كلماتها وترًا حساسًا فى أعماق ابنتها ، التى تشاركها نفس المخاوف والأحاسيس ، فغمغمت فى خفوت شديد ، وكأنها تخشى أن يفصح صوتها عن مكنون نفسها :

- كلنا نعمل لهدف واحد يا أماه ، ولو أن الدكتور (ناظم) يخفى عنا شيئًا ، فهو لصالح المهمة بالتأكيد .

أدارت (سلوى) عينيها إليها ، قائلة :

ـ المفترض أننا القائمون بالمهمة ، وعلينا أن نعلم كل ما يحيط بها ، مهما بلغت درجة سريته .

ولم تجد (نشوى) قط ما تقوله ..

إنها تتفق تمامًا مع رأى أمها ..

إنهم المسئولون عن هذه المهمة ، من الألف إلى الياء ..

فلماذا يخفى الدكتور (ناظم) عنهم أمرًا ما ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

قطع أفكارها صوت زوجها (رمزى) ، وهو يسأل :

ـ كيف يسير العمل ؟!

أجابته (نشوى) فى سرعة ، وكأنها تنتزع نفسها من توترها :

ـ على خير ما يرام .

وقالت (سلوى) فى عصبية :

ـ كلا .. ينبغى أن يسير بسرعة أكبر .

التفت إليها (رمزى) ، قائلاً فى إشفاق :

ـ ما الذى يقلقك إلى هذا الحد يا (سلوى) ؟! كل شىء يسير على ما يرام والحمد لله (العلى القدير) !

هتفت فى حدة :

ـ وماذا لو لم ننته من العمل ، ونبدأ البث فى الوقت المطلوب ؟!

سألها فى تعاطف :

ـ أى وقت يا (سلوى) ؟! إننا نتحدَّث عن رحلة فى نهر الزمن ، حيث يتوقَّف كل شىء ، ولا تعود هناك قيمة للزمن .

هتفت :

ـ خطأ يا (رمزى) .. خطأ .. الزمن هو دائمًا سيِّد الموقف ، حتى عندما يتعلَّق الأمر بموقف كهذا .. بل وربما يتسيَّد موقفنا هذا ، فى هذه الظروف بالتحديد .

غمغم :

ـ أعلم هذا ، ولكن ..

قاطعته مكملة فى عصبية :

ـ وطبقًا لسجلات المقاتلة ، فالزمن يتوازى بين الثقوب ، بعضها وبعض ، خلال فترات الانتقال ،

بمعنى أن كل يوم يمضى هنا ، سيساوى فترة زمنية مقاربة ، عبر أى ثقب آخر ، ولو صحَّت هذه النظرية ، فسيعنى هذا أن (نور) ورفيقيه أمامهم ست ساعات فحسب ، قبل أن تصبح مقاتلتهم قادرة على القيام برحلة زمنية جديدة ، ولو افترضنا أنهم سينطلقون بها فور استعدادها لذلك فسيعنى هذا حتمية أن ننتهى من إعداد كل شىء ، وإطلاق الذبذبة المنشودة ، خلال هذه الساعات الست فحسب ، وإلاَّ ...

ارتجف صوتها ، وهى تنطق الكلمة الأخيرة ، فتطلَّع إليها (رمزى) لحظة فى صمت ، قبل أن يقول :

- هذه النظرية تخالف كل ما أعرفه عن السفر عبر الزمن يا (سلوى) ، فمعلوماتى تقول :

- إن المسافر عبر الزمن ، يمكنه أن ينتقل من أية نقطة ، إلى أية نقطة زمنية أخرى ، دون أى اعتبار للتوافق الزمنى بينهما .

هزَّت رأسها فى عنف ، قائلة :

- هذا صحيح ، بالنسبة للسفر عبر نهر الزمن الممتد ، كما فعلنا من قبل ، عندما ...

بترت عبارتها لحظة ، قبل أن تضيف فى مرارة :

- عندما فقدنا (محمود)(*) .

انتقلت تلك الغصة فى حلقها إلى (رمزى) و(نشوى) ، وشعرا بمرارتها فى كيانهما كله ، قبل أن تنتزع هى نفسها من ذلك الشعور العارم بالأسى ، متابعة :

- أمَّا فى حالتنا هذه ، فالأمر يختلف تمامًا ، إذ إن المقاتلة تقود إلى منطقة تعادل مدهشة ، فى مجرى الزمن ، حيث تثبت كل العوامل ، وتتحوَّل مداخل الحقب الزمنية إلى ثقوب .. مجرَّد ثقوب سوداء ، يقود كل منها إلى بقعة بذاتها ، من زمن ما ، وهذا يختلف تمامًا ، إذ إنك ، والحال هكذا ، لا تستطيع ولوج أىّ عصر ، إلاَّ من نقطة الدخول وحدها ، وليس من أية نقطة تشاء ، كما يحدث فى نهر الزمن الممتد ..

حدَّق (رمزى) فيها لحظة ، قبل أن يطلق ضحكة محدودة ، قائلاً :

- يا إلهى ! ماذا أصابك يا (سلوى) ؟! لقد تألَّق عقلك على نحو مدهش ، حتى صرت أكثر عبقرية من كل العلماء ، الذين عرفهم التاريخ .

(*) راجع قصة (الزمن يساوى صفرًا) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

تنهدت متمتمة فى أسى :

ـ الحاجة أم الاختراع يا (رمزى) .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت فى خفوت حزين :

ـ لقد فعلت كل هذا من أجل (نور) .

ثم رفعت عينيها إليه ، مستطردة :

ـ من أجله وحده .

ونطقت عبارتها الأخيرة بصوت يقطر دمعًا .. بل يقطر دمًا ..

★ ★ ★

قبضت أصابع (هولدشتاين) على شعر (طارق) ، ليجذبه فى قسوة ، وهو يقول فى شراسة عنيفة :

ـ اسمع يا فارس الزمن .. مقاومتك هذه لن تُجدى قط .. أخبرنى أين أخفيت تلك الكرة الفضية ، وإلاَّ مزَّقتك إربًا ، وانتزعت كل عظمة من عظامك .

كان (طارق) متهالكًا للغاية ، بعد ليلة كاملة من التعذيب والإيلام ، وعلى الرغم من هذا ، فقد رسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يقول فى ضعف :

ـ ماذا دهاك أيها الوغد ؟! ألم تقتنع بعد بأنه لا شأن لتلك الكرة الفضية بمقاتلة الزمن ؟! عجبًا !

المفترض أنك من عصر يعقب عصرى بكثير ، وينبغى أن تعلم كل شىء عن وسائلنا .

صاح به (هولدشتاين) فى غضب :

ـ لا تحاول خداعى يا هذا .. أنت وأنا نعلم جيدًا أن وسائل الاستدعاء تتخذ عشرات الأشكال ، منذ تم اختراعها ، ولا يوجد ما يمنع كون تلك الكرة الفضية وسيلة استدعاء خفية .

ثم عاد يجذب شعره فى قسوة ، مستطردًا :

ـ ولو لم تكن كذلك ، فسأضطر لتشريح جسدك كله ، للعثور على وسيلة الاستدعاء المختفية فيه ، على الرغم من افتقارى للوسائل الحديثة ، القادرة على كشف وجودها .

ومال نحوه ، مضيفًا فى وحشية :

ـ ومن المؤسف أننا لا نمتلك عقاقير تخدير كافية ، مما سيضطرنا للقيام بعملية التشريح كلها دون مخدِّر .

انهمرت دموع المرارة والارتياع من عينى (برجيت) ، وهى تهتف :

ـ أخبره يا (طارق) .. أرجوك .

كانت مقيَّدة ، مع (نور) و(أكرم) ، إلى جدار تلك

الزنزانة الرطبة الصغيرة ، فى حين تم تقييد (طارق) ، بأغلال معدنية إلى مقعد كبير ، على بعد متر واحد منهم ، ليشاهدوا بأعينهم كل ما تعرَّض له ، طوال أكثر من أربع ساعات كاملة ، دون أن يفصح عما يبحث عنه (هولدشتاين) ، الذى التفت إلى (برجيت) ، قائلاً فى حدة :

- نعم يا جميلتى .. اقنعيه بالبوح بما لديه ، وإلا فسيحين دورك بعد قليل .

وعاد يستدير إلى (طارق) ، قائلاً :

- من المؤكد أنه سيؤلمك كثيرًا رؤية ما سنفعله بها ، لو لم تفصح عن موقع تلك الكرة الفضية .

لهث (طارق) فى تهالك ، وهو يغمغم :

- حاول أن تصدِّق يا رجل .. تلك الكرة الفضية ليست سوى سلاح سرى خاص ، من أسلحة المخابرات العلمية فى زمنى .

سأله فى حدة :

- ما الذى سيفعله ذلك السلاح إذن ؟!

لاذ (طارق) بالصمت ، ولم ينبث ببنت شفة ، فأكمل (هولدشتاين) فى صرامة :

- أنا أعرف كل الأسلحة ، التى تم ابتكارها فى العصور الحديثة ، التى تسبق زمنى ، ولو أنك أخبرتنى طبيعة ذلك السلاح ، فسأتعرَّفه على الفور .

ومال نحوه أكثر وأكثر ، مضيفًا بلهجة مخيفة :

- ما طبيعته .. أخبرنى .

صمت (طارق) بضع لحظات أخرى ، ثم قال فى حزم :

- إنه مجرَّد سلاح .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وتراجع معتدلاً فى بطء ، دون أن يرفع عينيه عن (طارق) ، واحتقن وجهه تدريجيًّا ، ليشفَّ عن تلك الثورة ، التى تعتمل فى أعماقه ، قبل أن يهوى على وجه (طارق) فجأة ، بصفعة قوية ، صارخًا :

- كاذب .

صرخت (برجيت) مذعورة مع الصفعة ، وصاح (نور) فى غضب :

- أيها الحقير .

أما (أكرم) ، فصاح ساخطًا :

- أيها الوغد .. أية شجاعة تلك فى أن تصفع رجلاً مقيَّدًا .

ولكن (هولدشتاين) لم يبال بكل هذا ، وهو يصرخ فى وجه (طارق) :

- هل تتصورَ أنك قادر على خداعى ؟! هل تعتقد أنك يمكن أن تهزمنى ، أو تعترض خطتى للسيطرة على العالم ؟!

غمغم (طارق) :

- المهم أننى أفسدت حماقتك ، التى ستؤدى إلى تدمير الأرض كلها فى المستقبل .

لوَح (هولدشتاين) بذراعه كلها ، هاتفًا :

- هراء .. هراء .. إنك لم تحقق انتصارًا ساحقًا كما تتصورَ يا فارس المستقبل .. صحيح أنك نسفت كل أجهزة وكرى هنا ، ولكن هذا لا يعنى أننى قد فقدت كل شىء .

ثم مال نحوه مرة أخرى ، وهو يشير بيده بعيدًا ، مستطردًا فى حدة :

- مازال لدى وكر مماثل فى (برلين) .

احتقن وجه (طارق) فى شدة ، وانعقد حاجباه على نحو يشف عن مدى توتره ، وهو يقول :

- وكر آخر !

تراجع (هولدشتاين) ، مطلقًا ضحكة عالية مجلجلة ، وهو يقول :

- هل أدهشك هذا ؟!

ثم لوَح بذراعه ، مستطردًا فى صرامة شامتة :

- هذا يعنى أن مهمتك قد فشلت أيها الفارس .. أليس كذلك ؟! إنك لم تنجح فى منع تقدمى ، ولا فى منعى من إرسال تلك الرسالة الثانية .

قال (نور) فى توتر :

- وما مصلحتك فى إرسال تلك الرسالة الكونية الثانية يا رجل ؟! إنك ستجلب الوبال على الأرض ، التى تسعى للسيطرة عليها .

هتف (هولدشتاين) :

- خطأ يا (نور) .. خطأ يا عبقرى عباقرة كل الزمان .. تلك القنبلة ستجلب الوبال للمجموعة الشمسية كلها ، لأن الأرض لم تكن مستعدة لمواجهتها .. أما الآن ، فلدى كل المعلومات الخاصة بها .. إننى أعلم أين ومتى ستبلغ المجموعة الشمسية ، وما مدى قوتها ، وعندما تحين لحظة وصولها ، سأكون مستعدًا لمواجهتها ، وسأثبت للكون كله أننى إمبراطوره بلا منازع .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة مخيفة ، وعينـاه تتألّقان بشدة ، مستطردًا :

ـ سأعيدها إلى مرسلها ، مع خالص تحياتى ..

قال (أكرم) فى دهشة مستنكرة :

ـ هل ستنسف مجموعة شمسية أخرى كاملة ، لمجرّد إثبات أنك الأكثر قوة وبراعة ؟!

التفت إليه الجنرال ، قائلاً فى سخرية :

ـ ألديك وسيلة أخرى ؟!

هتف (أكرم) :

ـ أيها الـ ...

صاح (هولدشتاين) يقاطعه فى غضب :

ـ إياك أن تنطقها ، وإلا قطعت لسانك .

احتقن وجه (أكرم) ، واحتبست الكلمات فى حلقه لحظة ، قبل أن يهتف بغتة :

ـ أيها الوغد .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وأطلّ الغضب من كل خلية من خلاياه ، قبل أن يصرخ فجأة فى ثورة :

ـ أيها الحرّاس .

لم يكن هتافه قد اكتمل بعد ، عندما اندفع اثنان من الحرّاس إلى الزنزانة ، ومدفعاهما متحفزان للانطلاق ، عند أوّل إشارة ، وهتفا معًا ، وهما يرفعان ذراعيهمـا بالتحية النازية :

ـ هايل (هتلر) .

تراجع (هولدشـتاين) ، وجلس على ذلك المقعد الوثير الخاص به ، وهو يشير إلى (أكرم) ، قائلاً بلهجة صارمة آمرة :

ـ اقطعا لسانه .

شـهقت (برجيت) فى ارتيـاع ، وعقـد (نـور) حاجبيه فى شدة ، وهتف (طارق) :

ـ لا .. لا تفعل هذا يا (هولدشتاين) .

أما (أكـرم) فقـد راح يضـرب بيديـه وقدميـه ، محاولاً عبثًا التخلص من قيوده المعدنية ، فى حين اندفع الحارسان نحوه ، ولكمه أحدهما فى فكه بقوة ، فى حين استلّ الثانى من حزامه خنجـرًا ماضيًـا ، فهتف (أكرم) فى غضب :

ـ أيها الأوغاد الـ ...

قبل أن يتمّ هتافه ، دفع أحدهما قطعة معدنية بين

أسنانه ، بحيث لم يستطع إغلاق فمه ثانية ، فى حين مد الثانى يده ليمسك لسانه ، وكأنها ليست المرة الأولى ، التى ينفذان فيها أمرًا وحشيًا كهذا ..

وفى سخرية وحشية شامتة ، قال (هولدشتاين) ، وهو يضع إحدى ساقيه فوق الأخرى :

ـ من المؤكد أن قطع لسانه سيعفينا من سماع عشرات الكلمات البذيئة .

صاح به (نور) :

ـ دكتور (خالد) .. لو أنك مسست شعرة واحدة من (أكرم) ، فسوف تندم ما تبقى من .....

قاطعه (هولدشتاين) بسرعة فى سخرية :

ـ من ماذا يا (نور) ؟! حياتى أم حياتك ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ بل من الزمان كله .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) ، مع صرامة العبارة ، وتطلّع إلى (نور) فى مقت وغضب ، و ...

« لقد أمسكنا لسانه يا جنرال .. »

نطق أحد الجنديين بالعبارة ، فانتزع (هولدشتاين) من أفكار سوداء ، عربدت بعقله ، وجعله يلتفت إليه بحركة حادة ، فتابع الجندى :

ـ هل نقطعه يا جنرال ؟!

انفرجت شفتا (هولدشتاين) ، وارتفعت سبّابته ، على نحو يوحى بأنه سيلقى أوامره ، فهتفت (برجيت) :

ـ لا .. لا تفعلها بالله عليك .

ولكن (هولدشتاين) ابتسم فى سخرية ، وخفض سبابته ، و ...

« لا .. »

صرخ بها (طارق) ، فى ارتياع شديد ، فالتفت إليه (هولدشتاين) ، مكررًا فى سخرية :

ـ لا ؟! هل تعنى ألا أقطع لسانه ؟!

غمغم (طارق) فى مرارة :

ـ لا تفعل .

مال (هولدشتاين) إلى الأمام ، وهو يسأل بلهجة ملؤها الخبث والسخرية :

ـ مقابل ماذا ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وحبست (برجيت) أنفاسها ، واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، والجندى يجذب لسانه فى قسوة ، فى حين خفض (طارق) عينيه ، وتمتم فى مرارة شديدة ، خفقت لها قلوبهم جميعًا :



واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، والجندى يجذب لسانه فى قسوة ، فى حين خفض (طارق) عينيه ..

ـ سأرشدك إلى مقاتلة الزمن .

تألَّقت عينا (هولدشتاين) ، وهو يقول :

ـ أهى خدعة أخرى ؟!

هزَّ (طارق) رأسه فى حزم ، قائلاً :

ـ مطلقًا .

سأله (هولدشتاين) ، وهو ينهض من مقعده ، ويقترب منه أكثر :

ـ ومن يضمن هذا ؟!

تنهَّد (طارق) ، قائلاً :

ـ اقتلنا ، لو أنها كذلك .

صمت (هولدشتاين) بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إليه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، مفكِّرًا فى عمق ، ولما طال صمته ، تمتم أحد الجنديين :

ـ هل نقطع لسانه يا جنرال ؟!

بقى (هولدشتاين) صامتًا ، بضع لحظات أخرى ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ ليس الآن .

تراجع الجنديان ، واتخذا وقفة عسكرية صارمة ، دون أن يتخلَّى أحدهما عن خنجره ، أو يعيده إلى

حزامه ، ودون أن ينتزعا تلك القطعة المعدنية ، التى تبقى فم (أكرم) مفتوحًا ، فهتف هذا الأخير محتجًا ، بصوت أشبه بالهمهمة ، فى حين قال (هولدشتاين) فى صرامة :

ـ إنها تلك الكرة الفضية .. أليس كذلك ؟!

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا فى استسلام ، وهو يقول :

ـ نعم .. إنها هى .

تألقت عينا الجنرال فى ظفر ، وهو يهتف :

ـ كنت واثقًا من هذا .

ثم مال يسأله فى لهفة :

ـ أين هى ؟!

ازدرد (طارق) لعابه فى صعوبة ، وقال :

ـ معى .

سأله (هولدشتاين) فى عصبية :

ـ أين ؟! لقد فتشناك أكثر من مرة .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستدرك فى توتر :

ـ هل تستخدم وسيلة ما لإخفائها ؟!

هزَّ (طارق) رأسه نفيًا ، وأجاب فى ضيق :

ـ كلاً .. إنها مزوَّدة بنظام أمن خاص ، بحيث تتخذ صورة أخرى من صور المادة ، حتى تلمسها أصابعى .

تألَّقت عينا (هولدشتاين) ، هاتفًا :

ـ آه .. كيف لم يخطر هذا ببالى ؟! إنها تلتصق بقميصك ، أو جيب سروالك ، أو ياقتك .. إنه نظام أمنى قديم ، حتى إننى لم أذكره .. النظام المعروف باسم (الحرباء) .

أومأ (طارق) برأسه موافقًا ، وهو يقول :

ـ بالضبط .. ستتخذ شكلاً يجعل من المستحيل تمييزها ، مع الوسط المحيط بها ، ولن تستعيد شكلها الأصلى ، أو قدراتها العادية ، إلا عندما تلمسها أصابعى .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ أصابعى وحدها .

انعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وهو يقول :

ـ آه .. هذا يعنى ضرورة أن نحل وثاقك .

اعتدل رأس (طارق) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ بالضبط .

صمت (نور) تمامًا ، وهو يتساءل عما يرمى

إليه (طارق) بالضبط ، وتطلع إليه (برجيت) فى توتر ، فى حين عقد (أكرم) حاجبيه ، وصدرت عن فمه المفتوح قسرًا همهمة غاضبة ..

أما (هولدشتاين) ، فقد صمت بدوره ، وهو يتطلَّع إلى (طارق) فى شك ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وتجمَّد تمامًا ، حتى بدا أشبه بتمثال من الحجر ، ثم لم يلبث أن قال فى صرامة :

ـ فليكن .

والتفت إلى أحد حارسيه ، مستطردًا بلهجة آمرة :

ـ حل وثاق يده اليمنى وحدها .

ثم أشار إلى الحارس الآخر ، مضيفًا فى صرامة :

ـ وأنت .. صوِّب إليه مدفعك الآلى ، من مسافة مترين ، ولو ندَّت منه أية حركة ، تدعو إلى أدنى شك ، أطلق النار عليه مباشرة .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ وعليهم جميعًا .

ثم ابتسم فى سخرية ، قائلاً لـ (طارق) :

ـ هل يناسبك هذا ؟!

أجابه (طارق) فى هدوء :

ـ لا بأس ..

أشار (هولدشتاين) بيده ، فأسرع الحارس الأوَّل يحل وثاق يد (طارق) اليمنى ، فى حين تراجع الثانى ليصوِّب مدفعه إليه فى تحفز ، وسرعان ما انضم إليه زميله ، و(هولدشتاين) يقول فى صرامة :

ـ هيَّا .. أعطنى تلك الكرة الفضية .

تجمَّد الموقف كله لحظة ، والعيون كلها تحدِّق فى (طارق) ، الذى بدا ساكنًا تمامًا ، ثم لم يلبث أن كسر ذلك الجمود ، وهو يمدّ يده ، ويتحسَّس عنقه بأصابعه فى رفق ..

واتسعت عيون الجنديين ، وتراجعا فى ذهول مذعور ، عندما بدا لهما أن حنجرته تمتدّ إلى الأمام ، ثم تتكوَّر على نحو عجيب ، قبل أن تسقط بين أصابعه ، ويتغيَّر لونها إلى الفضى اللامع ، فهتف أحدهما :

ـ أى سحر هذا ؟!

صاح بهما (هولدشتاين) فى صرامة :

ـ اصمتا ، وصوِّبا سلاحيكما جيِّدًا .

بذل الرجلان جهدًا مستحيلاً ؛ ليتماسكا أمام هذا الأمر الرهيب ، فى حين تعلقت عيون الآخرين بتلك الكرة الفضية ، بين أصابع (طارق) ، والتى تطلّع إليها (هولدشتاين) فى لهفة ، قائلاً :

- أعطنى إياها .

دارت عشرات الأسئلة والتساؤلات ، فى رءوس (نور) و(أكرم) و(برجيت) ، عندما تطلّع (طارق) إلى الكرة الفضية ، وضغطها بأصابعه ، وتصوَّر ثلاثتهم أنه يعدّ خدعة جديدة ، ليواجه بها (هولدشتاين) ، إلا أنه لم يلبث أن مد يده بها للجنرال الشيطانى ، والمرارة ، كل المرارة ، ترتسم على وجهه ..

وبكل لهفة الدنيا ، اختطف (هولدشتاين) الكرة الفضية ، وتألّقت عيناه فى ظفر مخيف ، وهو يقلّبها بين أصابعه ، مغمغمًا :

- أخيرًا .

قال (طارق) فى توتر :

- والآن أطلق سراحنا يا رجل .. لقد حصلت على ما تبتغى ، ولم تعد هناك فائدة من الاحتفاظ بنا .

تألّقت عينا (هولدشتاين) مرة أخرى ، وهو يقول :

- أنت على حق .. لم تعد هناك فائدة من الاحتفاظ بكم .

ثم أطلق ضحكة شيطانية ، مستطردًا :

- لم تعد هناك أية فائدة .

واستدار إلى الحارسين المتحفزين ، قائلاً بلهجة آمرة ، صارمة ، لا تحتمل النقاش :

- أطلقوا النار عليهم ..

وصرخت (برجيت) فى رعب ..

فلم يعد هناك مفرّ من الموت ..

أى مفر ..

★ ★ ★



٨- الضـــربة ..

ألقى الدكتور (ناظم) نظرة سريعة على ساعته ، قبل أن يقول للقائد الأعلى ، فى انفعال ملحوظ :

- سبع عشرة دقيقة ، ويبدأ البث .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، وهو يراجع تقرير مقارنــة البصمات الجينيـة للمـرة الثلاثيـن ، مغمغمًا :

- أتعشَّم أن يفلح هذا .

هزَّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، قائلاً :

- هذا يتوقَّف على عوامل عديدة .. أن تنجح الفكرة ، ويتغيَّر لون الثقب الخاص بنا بـالفعل ، وأن يـدرك (نور) ما يعنيه هذا ، والنقطة الأخيرة تتطلَّب عاملين رئيسيين ، أوَّلهما أن يكون (نور) ورفيقاه فى مجرى الزمن بالفعل ، وقت إطلاق البث ، و ....

بتر حديثه بغتة ، فرفع القائد الأعلى عينيه إليه ، مكملاً :

- وأن يكونوا على قيد الحياة .

ثم تنهَّد ، متمتمًا :

- نعم .. أنت على حق .

قالها ، وعـاد يلقـى نظـرة علـى التقريـر ، فقـال الدكتور (ناظم) :

- الأمـر عجيـب للغـاية بالفعـل ، ولكـن الخبـراء حسموه ، على نحو لا يقبل الشك .

مرة أخرى ، وافقه القـائد الأعلـى بإيمـاءة مـن رأسه ، وقال :

- أعلم هذا يا دكتور (ناظم) .. أعلم جيِّدًا ، ولكن من العسير علىَّ تقبّله .

وتنهَّد ، ثانية ، ليضيف :

- فما زالت تصاريف القدر تدهشنى !

جلس الدكتور (نـاظم) على مقعد قريب ، وهـو يسأل :

- هل تعتقد أنه من الحكمة أن نعلن هذا ؟!

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، وهو يفكِّر فى عمق ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه فى حزم ، قائلاً :

- كلاَّ .

ثم اعتدل مستطردًا فى صرامة :

- إعلان حقيقة كهذه ، من الممكن أن يزيد الأمور تعقيدًا ألف مرة ، كما أنه لن يفيد أحدًا .. كل ما فى الأمر أنه قلب الأمور رأسًا على عقب ؛ إذ لا يمكننى الآن أن أتصوَّر أن (طارق) هذا يمكن أن يسعى لإيذاء عصرنا ، بأية صورة كانت .

قال الدكتور (ناظم) فى حماس :

- بالتأكيد .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

- ولكن ماذا عن فارس الزمن الثانى ؟!

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

- ما دامت مهمتهما مشتركة ، فكلاهما لايقصد شرًّا بالتأكيد .

قلب الدكتور (ناظم) كفيه فى حيرة ، قائلاً :

- لماذا إذن جمع المعلومات الفلكية ، واختراق شبكات الأمن بالغة السرية ؟!

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، وتحرَّك داخل الحجرة فى صمت ، حتى توقَّف أمام الخريطة الكبيرة لـ (مصر) ، وقال :

- هذان الفارسان أتيا إلى عصرنا لهدف ما .. واليوم ، وبعد كل ما تكشَّف من حقائق ، أكاد أن أجزم بأن هذا الهدف لصالحنا ، ومن أجل حماية مستقبلنا .

سأله الدكتور (ناظم) فى حذر :

- إذن ؟!

التفت إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى حزم صارم حاسم :

- إذن فمن الطبيعى أن نبذل قصارى جهدنا ، لإنجاح مهمتهما ، بدلاً من أن نقاتلهما على هذا النحو .... أعنى لو عاد (طارق) إلينا .

سأله الدكتور (ناظم) :

- وماذا عن تقرير مقارنة البصمات الجينية ؟!

صمت القائد الأعلى لحظة ، قبل أن يجيب :

- سيبقى ذلك سرًّا ، يندرج تحت بند السرية المطلقة يا دكتور (ناظم) .

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف :

- وإلى الأبد .

* * *

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما فى ذهول ، وهو يفرك معصميه ، ويحدِّق فى ذلك المشهد العجيب أمامه ...

لقد كان مطلق السراح ، هو و(نور) و(طارق) ، و(برجيت) ، داخل تلك الزنزانة الصغيرة الرطبة ، و(طارق) منهمك فى تهدئة (برجيت) ، فى حين راح (نور) يتطلَّع فى اهتمام إلى (هولدشتاين) وحارسيه ، الذين وقفوا جامدين فى أماكنهم ، بآخر انفعال يذكره لهم ، حتى إن عينا الجنرال لم تفقدا بريقهما ، مع تلك الابتسامة الساخرة الظافرة على شفتيه ، ويده لا تزال ممسكة بالكرة الفضية ..

وبانتفاضة عنيفة ، هتف (أكرم) :

- ما هذا بالله عليكم ؟!

التفت إليه (طارق) فى سرعة ، هاتفًا فى صوت خافت :

- رويدك يا رجل .. اخفض صوتك ، وإلا أفسدت كل شىء ..

أدار (أكرم) عينيه مرة أخرى فى المكان ، ثم قال فى توتر :

- ما الذى أصابهم ؟! وكيف أصبحنا مطلقى السراح ؟!

أجابه (نور) هذه المرة :

- تلك الكرة الفضية ، كانت بالفعل أحد أسلحة (طارق) ، بل يمكنك أن تقول :

- إنها أقوى أسلحته على الإطلاق .

عاد (أكرم) يدير عينيه فى الوجوه الجامدة ، قبل أن يسأل فى عصبية :

- أى سلاح هذا ؟!

أجابه (طارق) :

- شىء يمكن أن تطلق عليه اسم (قنبلة الزمن) يا (أكرم) .. ولقد أشعلت تلك القنبلة ، عندما ضغطتها بأصابعى ، قبل أن أعطيها لـ (هولدشتاين) ، الذى لم يكد يمسك بها ، ويأمر رجاله بقتلنا ، حتى انطلقت بكل تأثيرها .

ردَّد (أكرم) مبهورًا :

- تأثيرها ؟!

أجابه (طارق) فى سرعة :

- نعم .. لقد أوقفت الزمن بالنسبة للجميع ، فى دائرة قطرها عشرون مترًا ..

الجميع فيما عداى بالطبع ؛ لأننى محصَّن ضدَّها ..
قال (أكرم) فى عصبية :
- هذا يشملنا إذن .
أجابه (نور) :
- بالتأكيد يا (أكرم) ، ولكن (طارق) حلَّ وثاقنا ، بعد أن تخلص من قيوده ، بوساطة يده الحرَة .
سأله متوترًا :
- كيف استعدنا إحساسنا بالزمن إذن ؟!
أجابه (طارق) هذه المرة :
- أى مؤثِّر خارجى يمكن أن يؤدِّى إلى هذا .. صوت مرتفع .. ضوء مبهر .. أو حتى وخزة دبوس صغيرة ، كما حدث معكم .
اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وكأنما يعجز عقله عن استيعاب كل هذا ، فى حين قال (طارق) ، وهو يتطلَّع إلى ساعته :
- المقاتلة ستصبح جاهزة للإقلاع ، خلال اثنتين وعشرين دقيقة بالضبط ، وينبغى أن نتجه إليها بأقصى سرعة ، قبل أن تتعقَّد الأمور أكثر .
سأله (نور) فى توتر :

- وماذا عن (هولدشتاين) ، ووكره فى (برلين) ؟!
مال (أكرم) يلتقط مسدسًا ، من جراب أحد الحارسين ، ثم أدار فوهته نحو (هولدشتاين) ، مجيبًا فى صرامة :
- عندى حل بسيط لهذا .
هتف به (طارق) :
- لا .. لا تفعلها .
ولكن (أكرم) كان قد ضغط الزناد بالفعل ..
وانطلقت الرصاصة ..
ومع دويها ، انتفض الحارسان فى عنف ، وحدَّقا أمامهما فى ذهول ، فى حين اتسعت عينا (هولدشتاين) عن آخرهما ، وتراجع خطوة إلى الخلف ، هاتفًا :
- اللعنة ! إنها قنبلة زمنية .
ثم دار على عقبيه ، وانطلق يعدو بأقصى قوته هاربًا ، فى نفس اللحظة التى رفع فيها الحارسان مدفعيهما ، على الرغم مما يعتريهما من دهشة وارتباك ، فوثب (نور) نحو أحدهما ، وكال له لكمة كالقنبلة ، فى أنفه مباشرة ، أعقبها بأخرى ساحقة فى أسنانه ، ليسقط فاقد الوعى ، فى نفس الوقت

الذى ركل فيه (طارق) الحارس الثانى فى معدتـه ، ثم وثب يركله فى فكه ، ليلحق بزميلـه على أرضيـة الزنزانة ..

وفى ذهول ، هتف (أكرم) :

- ولكننى أطلقت النار على رأسه مباشـرة .. أقسم إننى لم أخطئ الهدف .

صاح به (طارق) فى حنق :

- بل كل ما فعلته هو أن أعطيته المؤثّر المثالى ، لانتزاعه من حالة الجمود ، قبل أن نصل إلى ما نبتغى .

هتف (أكرم) :

- وماذا عن الرصاصة ؟!

أجابه (طارق) ، وهو ينتزع أحد المدفعين الآليين ، ويلقى الآخر لـ (نور) :

- النظام الأمنى الذى يستخدمه ، يحيط جسده بغلاف واق ، عندما ينام ، أو يفقد الوعى ، أو يتعرّض لأى شىء ، يمكن أن يفقده إدراكه ، بأية صورة من الصور .

قال (نور) فى حزم :

- أعتقد أن أفضل مـا نفعلـه الآن ، هـو أن نسارع بالفرار من هنا .

قرن أربعتهم القول بالفعل ، فالتقطت (برجيت) مسدس الرجـل الآخـر ، وانطلقـوا جميعًا يشـقون طريقهم إلى خارج ذلك المبنى الصغير المنعزل ، الذى نقلهم إليه (هولدشتاين) ..

لم يكن مكانًا حصينًا ، مثل (بيت الثعالب) ، إلا أن الجنود العشرة ، الذين يقومون على حراسته ، كانوا يقاتلون فى شراسة مدهشة ، بناء على أوامر (هولدشتاين) ، الذى راح يصرخ فيهم ، بكل ما يعتمل فى نفسه من غضب :

- اقتلوهم .. لا تسمحوا لهم بالفرار ، مهما كان الثمن .

كان الفريقان يتخذان موقعين حصينيـن ، بحيث يمكن أن يتبادلا إطلاق النار إلى الأبد ، دون أن يربح أحدهما القتال ، لذا فقد هتفت (برجيت) :

- لا بد أن نجد وسيلة للخروج من هنا .

سألها (نور) ، وهو يطلق النار :

- وماذا تقترحين ؟!

أشارت بسبّابتها ، قائلة :

- لقد لمحت سيارتى (جيب) ، فى الساحة الخلفية ، يمكننا استخدام إحداهما للفرار .

أجابها (طارق) :

ـ الأمر ليس بهذه البساطة ، فمع كل ما لديهم من أسلحة ، يمكنهم سحقنا سحقًا ، قبل أن تقطع السيارة عشرة أمتار فحسب .

ولوَّح (نور) بيده ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .. سيطلقون النار على السيارة فور رؤيتها .

هتف (أكرم) :

ـ بالضبط .

التفت إليه (نور) بنظرة متسائلة ، فتابع فى حماس :

ـ وفى هذه الحالة لدى خطة بسيطة .

نطقها ، وعيناه تحملان ابتسامة عابثة .. وغامضة ..

★ ★ ★

« سيِّدى الجنرال ... لقد توقَّف إطلاق النار .. »

هتف أحد الجنود العشرة بالعبارة ، فانعقد حاجبا (هولدشتاين) فى شدة ، وقال فى عصبية :

ـ ما الذى يعنيه هذا .. هؤلاء الرجال لا يمكن أن يتوقَّفوا عن إطلاق النار ، إلا إذا ..

قبل أن يتمّ عبارته ، اخترقت سيارة (جيب) فجأة مدخل المبنى ، وانطلقت بأقصى قوتها مبتعدة ، فصرخ الجنرال :

ـ أطلقوا النار .

وقبل حتى أن تكتمل صرخته ، كانت رصاصات الجنود العشرة تنهال على (الجيب) كالمطر ...

وتحقَّق ما تنبأ به (طارق) تمامًا ..

فقبل حتى أن تقطع السيارة عشرة أمتار ، كانت رصاصات النازيين قد نسفت إطاراتها الأربعة ، واخترقت جدرانها ، وأشعلت النيران فى مؤخرتها ، و ....

وبينما يحدث كل هذا ، وثبت السيارة (الجيب) الثانية ، عبر المدخل المحطَّم وانحرف بها (أكرم) فى مهارة مدهشة ، جعلت إطاراتها تطلق صريرًا عنيفًا ، قبل أن تنطلق بسرعتها القصوى ، فى الاتجاه المضاد للسيارة الأولى ، و(طارق) و(نور) يلقيان منها قنبلتين نحو مدخل المبنى ، والأخير يهتف :

ـ يبدو أن أساليبك تفلح أحيانًا يا (طارق) ..

وتفجَّر غضب (هولدشتاين) إلى الذروة ، مع انفجار القنبلتين ، وصاح برجاله ، وهو يثب فى أقرب سيارة إليه :



وبينما يحدث كل هذا ، وثبت السيارة (الجيب) الثانية ، عبر المدخل المحطَّم وانحرف بها (أكرم) فى مهارة مدهشة ..

ـ الحقوا بهم .. اللعنة ! لا تسمحوا لهم بالفرار ..

وانطلقت ثلاث سيارات عسكرية ، خلف (الجيب) ، التى يقودها (أكرم) بأقصى سرعة ومهارة ، و(طارق) يهتف به :

ـ أمامنا سبع عشرة دقيقة فحسب ، وبعدها سينطلق الحارس الآلى للذود عنا ، بعد أن تبدأ المقاتلة عملها .

هتف (أكرم) فى سخرية عصبية ، وهو ينحرف بالسيارة فى عنف :

ـ سبع عشرة دقيقة فحسب ؟! العالم كله يمكن أن ينقلب رأسًا على عقب ، فى ربع هذه المدة يا صديقى .

ربَّت (نور) على كتفه ، قائلاً :

ـ انطلق نحو الهدف فحسب يا (أكرم) .

كان (أكرم) يبذل قصارى جهده بالفعل ، وينطلق بالسيارة فى مهارة مدهشة ، جعلت (هولدشتاين) يهتف فى سخط :

ـ اللعنة ! إنهم يتجهون إلى خارج العاصمة .. نحو نفس البقعة ، التى شوهدت فيها مقاتلتهم من قبل .. من الواضح أنهم يسعون للفرار .. لابد من منعهم بأية وسيلة ممكنة ، من مغادرة هذا الزمن ..

لا بد أن تبقى المقاتلة الزمنية هنا ، مهما كان الثمن .

ثم اختطف بوق اللاسلكى ، هاتفاً عبره :

- الجواسيس الثلاثة يحاولون الفرار .. أريد محاصرة وإغلاق كل مداخل ومخارج (باريس) ، وخاصة عند الناحية الشرقية .. هنا الجنرال (فريدريش هولدشتاين) هذا أمر للجميع .

استقبل جهاز اللاسلكى ، فى السيارة (الجيب) هذه الرسالة ، فهتف (نور) :

- إنه يحاول إغلاق الطريق أمامنا .

أجابه (أكرم) فى حزم ، وهو يواصل الانطلاق بأقصى سرعة :

- دعه يحاول .. لن يمكننا التراجع عن الهدف الآن .

تضاعف عنف المطاردة ، عبر الشوارع الباريسية ، على نحو لم تعهده العاصمة الفرنسية قط ، حتى فى أشد لحظات صراعها ، حتى إن الباريسيين اختبئوا فى منازلهم ، واكتفوا بالمراقبة الحذرة ، من خلف نوافذهم ..

وراح الوقت يمضى فى بطء مخيف ، حتى لقد خُيِّل للجميع أن دهراً قد مضى ، قبل أن يهتف (أكرم) فى توتر :

- رباه ! كم تبقَّى لنا !!

أجابه (طارق) :

- ثلاث عشرة دقيقة أخرى .

صاح (أكرم) فى حنق :

- ألم أقل لك ؟!

كانوا يتجهون نحو المخرج الشرقى للمدينة مباشرة ، و ....

وفجأة ، اعترضتهم عربة مصفَّحة ، تحمل شعار النازية ، فهتف (نور) :

- احترس .

انحرف (أكرم) بالسيارة فى عنف ، حتى إن إطاريها الأيسرين ارتفعا عن الأرض عدة سنتيمترات ، وهمَّ بالانطلاق مرة أخرى ، ولكن سيارتين أخريين اعترضتا طريقه ، وبرز منهما أكثر من عشرة جنود مدججين بالسلاح ، فى نفس الوقت الذى اندفعت فيه دبَّابة (شيرمان) نحوهم ، فهتف (أكرم) ، وهو يستَل مسدسه :

- اللعنة ! سوف أنسف ..

أمسك (نور) معصمه فى سرعة ، قائلاً :

- رويدك يا رجل .. لو انطلقت من مسدسك رصاصة واحدة ، فسيسحقنا هؤلاء الأوغاد سحقًا .

مع آخر حروف كلماته ، برزت دبابة أخرى ، من خلفهم مباشرة ، وارتفع صوت صارم ، يقول :

- لا سبيل للفرار .. استسلموا أو نطلق النار بلا رحمة .

ارتبكت (برجيت) بشدة ، وانكمشت بجسدها بين ذراعى (طارق) ، الذى غمغم :

- يبدو أنه ليس أمامنا سوى هذا .

هتف (أكرم) محنقًا :

- هل نستسلم بهذه البساطة ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- تذكَّر أن الحارس الآلى سيسعى إلينا بعد إحدى عشرة دقيقة فحسب ، وهذا يعنى أن الاستسلام هو أملنا الوحيد فى النجاة .

انعقد حاجباه لحظة ، قبل أن يغمغم :

- فهمت .

فى نفس اللحظة التى سلَّموا فيها أسلحتهم ، واستسلموا للنازيين ، توقَّفت سيارة الجنرال

(هولدشتاين) إلى جوارهم ، ووثب منها هذا الأخير ، هاتفًا :

- آه .. وقعتم فى قبضتى مرة أخرى .

أجابه (طارق) فى هدوء :

- ربما ليس لفترة طويلة كالمعتاد .

أطلق (هولدشتاين) ضحكة ساخرة ، وقال فى صرامة :

- هل تنتظر نجدة من نوع ما هذه المرة ؟!

أجابه (نور) :

- من يدرى ؟!

التفت إليه (هولدشتاين) ، قائلاً فى سخرية :

- أنا أدرى يا (نور) .. أنا أتيت من زمن متقدِّم للغاية ، حتى إننى أعرف كل الخدع ، التى يتوقَّعها فارسك الزمنى .

ثم أدار عينيه إلى (طارق) ، متابعًا :

- إنك تتوقع وصول حارسك الإليكترونى ، فور تشغيل المقاتلة .. أليس كذلك ؟!

شعر (أكرم) بتوتر عنيف يسرى فى جسده ، فى حين عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، وقال (طارق) فى عصبية :

ـ آه .. نسيت أنك تعلم حتمًا بأمره ، فهو مجرَّد تاريخ بالنسبة لك .

لوَّح (هولدشتاين) بذراعه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .. ذلك الطراز القديم من المقاتلات الزمنية ، الذى يحتاج إلى ثلاثة أيام كاملة ، حتى يشحن بطارياته بالطاقة الكافية ، للقيام برحلة زمنية أخرى ، والذى يشعل الحارس الآلى ، فور استعداد المقاتلة ، للبحث عن قائدها ، وتأمين وصوله إليها .. كل هذا أعرفه بالطبع .

وتألقت عيناه ، وهو يضيف :

ـ وأستعدَ لمواجهته منذ البداية .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، مستطردًا :

ـ الآن ، وبعد أن استقرَّت كل الأمور ، تكفى ضغطة بسيطة على هذا الزر ، فى طرف ساعتى ، لتنطلق موجة كهرومغنطيسية ، من قمة برج (إيفل) ، لتغمر المدينة كلها ، وتخفى كل أثر لكم عن ذلك الحارس الذهبى .

قالها ، وهو يقرن القول بالفعل ، ويضغط ذلك الزر الصغير ، فى طرف الساعة ، فغمغم (أكرم) فى إحباط :

ـ أعتقد أن كل شىء قد انتهى الآن .

أجابه (هولدشتاين) بلهجة ظافرة :

ـ هذا صحيح تمامًا ؛ فالمقاتلة ستظهر للأعين ، بعد سبع دقائق على الأكثر ، ولدى وسيلة مأمونة ومضمونة ، لإيقاف عمل كل وسائلها الدفاعية ، وإخضاعها لسطوتى وسيطرتى ، بحيث تصبح خادمًا مطيعًا لى ، عندما تحين اللحظة المناسبة ، وأستعد للعودة إلى زمنى ، بعد أن أنجح فى السيطرة على المنعطف التاريخى هنا .

وانطلقت من حلقه ضحكة مجلجلة ، قبل أن يلوِّح بقبضته ، هاتفًا :

ـ ستكون لى السيطرة الكاملة على العالم أجمع .

انبعث من خلفه صوت صارم ، حازم ، يقول :

ـ هذا بالضبط ما أردت التحدُّث معك بشأنه يا جنرال (هولدشتاين) .

غمغم (نور) مبهورًا :

ـ رباه ! إنه (هملر) شخصيًا .

أما (هولدشتاين) ، فقد استدار فى سرعة ، ليواجه (هملر) ، وهو يهتف فى دهشة بالغة :

- سيّدى الجنرال ؟! ما الذى .. أعنى أية رياح طيبة ألقت بك ...

قاطعه (هملر) فى صرامة ، وهو يتجه نحوه ، عاقدًا كفيه خلف ظهره :

- لدى أمور كثيرة بشأنك يا (هولدشتاين) .. أمور بالغة الخطورة ، وخاصة لو اضفناها إلى ما سمعتك تنطق به الآن .

لوّح (هولدشتاين) بكفه ، قائلاً :

- لا تسئ الفهم يا سيّدى الجنرال .. إننى أدين بكل الولاء لك ، وللفوهلر ، و(ألمانيا) ، و ....

أشار (هملر) بيده ، قبل أن يكمل (هولدشتاين) عبارته ، فاندفع ستة من الجنود يصوبون مدافعهم الآلية إلى الجنرال الشيطانى ، فى حين انقضّ عليه جنديان من الخلف ، وكبّلا معصميه خلف ظهره ، بأغلال فولاذية ، فصرخ :

- لا .. لا تفعل بى هذا يا جنرال .. إننى أعرف الكثير .. الكثير مما يمكن أن يقود (ألمانيا) إلى النصر .. سأخبركم سر القنبلة الذرية ، وسأتصدّى للحلفاء ، عندما يحاولون الهبوط فى (نورماندى) .. وسأضمن لكم النصر فى الجبهة الروسية .

برز (كارل مانهايم) فجأة ، وهو يهتف :

- لا تصدّقه يا جنرال .. لقد سمعت بنفسك ما قاله .. إنه خائن .. خائن .. انظر إلى ساعته العجيبة ، وأوراقه .. إنها أشياء لم نرها من قبل قط .

صرخ فيه (هولدشتاين) :

- أيها الوغد الحقير .. إنك تحاول النيل منى فحسب .. أيها الـ ..

أشار (هملر) بيده مرة أخرى ، فهوى اثنان من الرجال بكعبى مدفعيهما ، على مؤخرة عنق (هولدشتاين) ، الذى اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهوى عند قدمى (هملر) فاقد الوعى ، فغمغم (أكرم) فى سخرية :

- يبدو أن دور (هولدشتاين) قد انتهى هنا .

تمتم (نور) :

- بل قل حياته نفسها .

وأضاف (طارق) فى ارتياح :

- وخطره على مستقبل الأرض .

كان الجنود يحملون (هولدشتاين) الفاقد الوعى ، ويلقونه داخل سيارة مصفحة ، عندما سأل (كارل) الجنرال (هملر) ، وهو يشير إلى (نور) ورفاقه :

ـ وماذا عنهم ؟! ماذا نفعل بهم ؟!

أدار (هملر) عينيه إليهم فى برود ، ثم أشار بيده ، قائلاً فى اقتضاب صارم :

ـ اقتلوهم .

ومع آخر حروف كلمته ، ارتفعت فوهات المدافع الآلية ، نحو (نور) ورفاقه ، و ...

ودوت الرصاصات على مشارف (باريس) .. بلا رحمة .

★ ★ ★



٩ ـ فرسان الزمن ..

انتفض جسد (برجيت) فى عنف ، وأغلقت عينيها فى قوة ، مع دوى الرصاصات ، وخيل إليها أنها قد اخترقت جسدها فى كل موضع ، دون رحمة أو هوادة ..

ولكنها سمعت فجأة صوتًا يهتف بالفرنسية :

ـ أنا هنا يا (برجيت) .

فتحت عينيها فى لهفة ، ورأت أمامها أحد رجال المقاومة الفرنسية ، يثب فوق أقرب دبَّابة إليها ، ويلقى عبوة ناسفة داخلها ، عَبْر فتحة إطلاق النار ، ثم يقفز مبتعدًا ، فى نفس الوقت الذى اندفع فيه رفاقه من كل صوب ، وهم يطلقون مدافعهم الآلية نحو النازيين ، الذين تراجعوا فى سرعة ، متبادلين إطلاق النار معهم ، فى حين أسرع (هملر) يحتمى بالسيَّارة المصفحة ، هاتفًا ، مع دوى الانفجار :

ـ قاتلوا يا رجال .. قاتلوا بكل قوتكم .

وثب (طارق) يلكم أقرب الجنود إليه ، وينتزع مدفعه الآلى ، صائحًا :

- يبدو أن القدر لم يحسم أمرنا بعد يا رفاق .

ركل (أكرم) جنديًا آخر ، وهو يهتف :

- لأوّل مرة أتفق معك فى الرأى .

أما (نور) ، فقد جذب (برجيت) جانبًا ، ليبعدها من مرمى النيران ، وهو يلكم جنديًا ثالثًا فى معدتـه ، ثم يرتفع بقبضته ، ليحطّم أنفه ، صائحًا :

- احتموا بأقرب مكان إليكم .

برز (آلان) فى هذه اللحظـة ، وهو يطلق نيران مدفعه الآلى ، هاتفًا :

- إننا هنا يا (برجيت) .

صاح به (أكرم) ، وهو يشاركه إطلاق النار :

- أؤكد لك أنكم قد وصلتم فى الوقت المناسب تمامًا يا صديقى .

كـانت الدبّابـة الثانيـة تـدور حـول نفسـها ، لتشـارك فى القتـال ، ولكـن (جولفيـه) وثـب فوقهـا ، وهـو يهتف :

- فلتحيا (فرنسا) .

ومع هتافه ، انتزع قنبلة يدوية من حزامه ، ومـال ليلقى بها عبر فتحة الهواء للدبّابـة ، ثم قفز مبتعدًا عنها ، و (هملر) يصرخ :

- أطلقوا النار عليه .. لا تسمحوا له بالفرار .

ولكن انفجار القنبلة داخل الدبّابة أصدر دويًّا رهيبًا ، مع دخـان كثيف ، اختفى داخلـه (جولفيه) ، الذى انطلقت نحوه مئات الرصاصات ..

وفى حزم صارم ، جذب (آلان) (أكرم) ، خلف واحدة من السيارات ، حيث يقف (نور) و(طارق) و(برجيت) ، وصاح فى الأوّل :

- ارحلوا .

سأله (نور) فى دهشة !

- ماذا ؟!

صاح به فى حدة :

- أقول : ارحلوا .. ابتعدوا عن هنا .. عودوا إلى زمنكم .. لقد هرعنا إليكم ، لنساعدكم على هذا .

هتف به (أكرم) فى دهشة :

- وكيف عرفتم أننا هنا ؟!

لوّح (آلان) بمدفعه ، مجيبًا :

- لدينا جهاز لا سلكى يتلقى موجاتهم .
ثم استطرد فى حدة :
- هيا .. ارحلوا .. لا تفسدوا ما فعلناه .
سأله (نور) :
- وماذا عنكم ؟!
أجابه فى سرعة :
- لا تقلقوا بشأننا .. سنقاتل لبعض الوقت ، حتى نؤمّن فراركم ، ثم ننسحب ، دون أن ينال منا هؤلاء الأوغاد ... إنها ليست أول مرة نفعل فيها هذا .. على الأقل سنفعلها هذه المرة ؛ من أجل مستقبلنا .
ثم استدرك فى حدة :
- لا تضيعوا الوقت فى هذه الأحاديث ... هيا .. ارحلوا .
تبادل الثلاثة نظرة صامتة ، ثم مدّ (طارق) يده إليه ، قائلاً :
- دعنى أصافحك ، قبل أن ...
قاطعه (آلان) ، وهو يلوّح بمدفعه :
- لا وداع .. إننى أبغض هذا كثيرًا .
هتفت (برجيت) فجأة :

- سأصحبهم .
بدت الدهشة على وجوه الثلاثة ، فى حين انعقد حاجبا (آلان) ، وهو يتطلّع إليها فى صمت ، قبل أن يقول فى عصبية :
- (برجيت) .. المفترض أن ...
قاطعته بلهجة صارمة ، لا تقبل النقاش :
- إنه قرار يا (آلان) .
ازداد انعقاد حاجبيه أكثر ، ورفع عينيه يتطلع إلى (طارق) فى مقت ، قبل أن يشيح بوجهه عنه ، قائلاً :
- هذا شأنك .
قالها ، ووثب مبتعدًا ، وهو يطلق النيران فى عنف ، يشفّ عما يعتمل فى نفسه ، وهو يصرخ بكل ما تموج به أعماقه من انفعال :
- فلتحيا (فرنسا) .
تبادل الجميع نظرة أخرى ، ثم قال (نور) فى حزم :
- هيا بنا .
كان القتال يشتعل بشدة خلفهم ، عندما انطلقت بهم

(الجيب) مبتعدة ، فى طريقها إلـى حيث تستقر المقاتلة ..

مقاتلة الزمن ..

★ ★ ★

انتشرت الشمس فوق أعواد القمح الذهبية ، فتألقت على نحو مبهج ، فى الريف الفرنسى ، وبدا معها المشهد بديعًا ، حتى إن ذلك الضابط النازى قد التقط نفسًا عميقًا ، وابتسم ابتسامة كبيرة ، وهـو يقـول لزميله ، فى أثناء تجوّالهما بين الحقول :

ـ يا له من صباح جميل ! إننـى أشعر بالابتهاج ، كلما جوّلت بين هذه الحقول الفرنسية .

أشار زميله بسبّابته ، قائلاً :

ـ إنهـا أفضـل ما أمكننـا ضمّـه إلى إمبراطوريتنـا النازية .

وافقه الضابط بإشارة من يده ، وهو يقول :

ـ هذا صحيـح .. لقد توسّط والـدى لـدى الجنـرال (دوينتز) نفسه ، حتى يتمّ نقلى إلى هنا ، وربما لو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، تألّق شىء ما بغتة ، بين الأشجار القريبة ، فأمسك معصم زميله فى قوة ، هاتفًا :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

انعقد حاجبا زميله فى شدة ، وهو يقول :

ـ لقد شاهدت بريقًا .

ثم استلّ مسدسه ، مستطردًا فى حزم :

ـ دعنا نتحرّ الأمر .

انتزع الضابط مسدسه بدوره ، واتجه الاثنـان نحو تلك البقعة ، وقبل حتى أن يتجـاوزا الأمتـار العشرة ، بدت لهما المقاتلة واضحة ، فتراجع الضـابط ، هاتفًا فى ارتياع :

ـ رباه ! إنها تلك المقاتلة ، التـى تحدّثوا عنهـا .. لقد تصوّرت أنها مجرّد هذيان طيّار سكير .

حدّق زميله فى المقاتلة لحظة ، ثم سأل فى توتـر بالغ :

ـ وماذا علينا أن نفعل يا رجل ؟!

أجابه الضابط فى سرعة :

ـ أسرع لاستدعاء القوة كلها يا رجـل .. الجنـود ، وطاقم الدبابات ، وحتـى القـائد نفسـه .. أسرع باللّـه عليك .

انطلق النـازى يعدو لتنفيذ الأمر ، فى حين لـوّح الضابط بمسدسه ، قائلاً فى صرامة :

ـ أما أنا ، فسأمنع أى كائن كان من الاقتراب منها .. مهما كانت الظروف .

وفى نفس الوقت ، الذى كان فيه أبطالنا ينطلقون نحو مقاتلة الزمن ..

وفى غياب الحارس الذهبى الإليكترونى ، بسبب تلك الموجات الكهرومغنطيسية ، التى أطلقها (هولدشتاين) ، قبل الإيقاع به ..

كان النازيون يحكمون الحصار حول آخر أمل لفرساننا ، فى العودة إلى عصرهم ..

حول المقاتلة ..

مقاتلة الزمن ..

★ ★ ★

« ابدأ البث ... »

نطق الدكتور (ناظم) الأمر فى توتر ملحوظ ، وهو يقف داخل محطة البث الأرضية الرئيسية ، فضغط مسئول المحطة زر التشغيل ، وراقب المؤشرات ، التى ارتفعت على نحو ملحوظ ، انعقد له حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يغمغم :

ـ رباه ! هذا أكثر مما كنا نتوقَّع .

أشار المسئول إلى المؤشرات ، قائلاً :

ـ من الواضح أن أجهزة المحطة غير مؤهَلة لاحتمال هذه الذبذبة .

سأله فى قلق :

ـ هل تعتقد أنها ستنهار ؟!

أجابه المسئول فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

ثم استدرك مشيرًا بسبَّابته :

ـ ولكن ليس على الفور .

بدا الاهتمام والتساؤل فى عينى الدكتور (ناظم) ، فتابع الرجل :

ـ هذه الذبذبة عالية أكثر مما ينبغى ، ولكن الآلات والأجهزة يمكنها احتمالها لبعض الوقت .. ربما ساعة أو ساعتين .. أو ست ساعات على الأكثر .

سأله الدكتور (ناظم) فى قلق :

ـ ثم ؟!

أجابه ، وهو يفرقع سبَّابته وإبهامه :

ـ ثم ينهار كل شىء .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) فى توتر شديد ، وهو يحكَ ذقنه بسبَّابته ، قبل أن يقول فى قلق :

- وما الذى يمكن فعله ، مع أمر كهذا ؟!

هزَّ المسئول كتفيه ، قائلاً :

- الانتظار .

تراجع الدكتور (ناظم) فى دهشة ، وهو يقول :

- الانتظار ؟!

أجابه الرجل فى حزم :

- بالتأكيد ، فبناء محطة بث جديدة ، طبقًا للمواصفات المطلوبة ، أو حتى تحديث سلسلة محطات البث الحالية ، سيحتاج إلى ثلاثة أشهر ، على أقل تقدير ، وهذا يعنى حتمية استخدام ما لدينا الآن .

هتف الدكتور (ناظم) مستنكرًا :

- ولكن الأجهزة ستنهار .

أجابه المسئول فى سرعة :

- لسنا ندرى متى ، وكل ما نملكه هو أن نواصل البث ، بأفضل ما يمكننا ، حتى ...

قبل أن يتم عبارته ، دوت فرقعة محدودة ، وتراقصت المؤشرات لحظة ، قبل أن تواصل عملها مرة أخرى ، فمطَّ المسئول شفتيه ، وغمغم فى أسف :

- حتى تنهار الأجهزة .. بأسرع مما كنا نتصوَّر .

واتسعت عينا الدكتور (ناظم) ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

فلم يعد هناك ما يمكن أن يقال ..

قط ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (طارق) فى توتر شديد ، وهو يراقب الموقف من بعيد ، مع (نور) و(أكرم) و(برجيت) ، وجميعهم يحتمون بشجرة ضخمة ، وقال فى صوت خافت ، حاول أن يخفى به انفعالاته الجمَّة :

- إنهم يحاصرونها بمنتهى الإحكام ، ويحاولون الاقتراب منها فى حذر .

غمغم (نور) :

- من الواضح أن الموجة الكهرومغنطيسية ، التى يبثُّها (هولدشتاين) ، مازالت تمنع عمل الحارس الإليكترونى .

قال (أكرم) فى توتر :

- إنه جيش كامل من جنود النازى ، ولن يمكننا مواجهتهم جميعًا ، ولكن لو أننا انتظرنا هبوط الليل ، فربما ..

قاطعه (نور) فى ضيق :

ـ ومن سيسمح لنا بالانتظار .. لقد رأوا المقاتلة ، وسيبلغون قادتهم ، ولن تمضى ساعة أخرى ، حتى لا تجد هنا موضعًا لقدم ، من كثرة الجنود النازيين ، الذين سيكتظ بهم المكان .

تنهَّد (طارق) ، قائلاً :

ـ ليس هذا فحسب ، ولكنهم سيزدادون جرأة ، مع مرور الوقت ، ولن يطول بهم الأمر ، حتى يقتحموا المقاتلة ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، أى تلف سيؤدى إليه هذا .

تراجع (أكرم) ، وهو يقول محنقًا :

ـ اللعنة ! هل فقدنا الأمل إذن ، فى العودة إلى عصرنا ؟!

هزَّ (طارق) رأسه ، مجيبًا :

ـ الأمل الوحيد الآن ، هو أن يعود الحارس الآلى إلى العمل .

قالت (برجيت) فى توتر :

ـ ماذا لو أجرينا اتصالاً بـ (آلان) ، وطلبنا منه إرسال من ينسف ذلك الجهاز ، فوق برج (إيفل) ؟!

أجابها (طارق) فى ضيق :

ـ سيستقبل النازيون البث ، وسيحاولون منعه من إتمام المهمة .

ولوَّح (أكرم) بكفه ، قائلاً :

ـ ثم إن هذا سيستغرق ساعتين على الأقل .

بدا له صوت (طارق) شديد الانفعال والعصبية ، وهو يقول :

ـ لست أعتقد أننا نستطيع الانتظار لنصف هذه الفترة .

قالها ، وهو يشير إلى السيارة العسكرية ، التى توقَّفت بالقرب من المقاتلة ، والتى هبط منها مجموعة من المهندسين العسكريين ، مع أدوات قطع المعادن ، فهتف (أكرم) :

ـ رباه ! إنهم سيمزقونها إربًا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ لا ينبغى أن نسمح لهم بهذا .

سأله (طارق) فى مرارة :

ـ وماذا بيدنا لنفعله ؟!

شدَّ (نور) قامته ، واتجه نحو الجيب ، التى تختفى خلف مجموعة من الأشجار القريبة ، مجيبًا :

ـ سننفذ خطة (برجيت) ، ونتصل بـ (آلان) .

بدت الدهشة على وجوه ثلاثتهم ، فأضاف ، وهو يلتقط بوق اللاسلكى :

ـ مع شىء من التطوير .

لم يفهم أحدهم ما يعنيه بالضبط ، إلا أنه ابتسم ابتسامة هادئة ، وهو يقول ، عَبْر جهاز اللاسلكى :

ـ من (نور) إلى (آلان) .. أعلم أنك تسمعنى .. إننا نواجه خطرًا داهمًا .. لقد أوقعوا بحليفنا (هولدشتاين) ، ولكنه ما زال يرتدى تلك الساعة .. حاول استعادتها بأى ثمن .

تألقت عينا (طارق) ، وهو يهتف :

ـ آه .. فهمت .

وانعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يحاول استيعاب الأمر ، فى حين تابع (نور) ، وهو يبتسم نفس الابتسامة الهادئة :

ـ حاول أن تمنعهم فى ضغط ذلك الزر الصغير فى جانب الساعة ، وإلا خسرنا كل شىء .. حاول يا (آلان) .

هتفت (برجيت) ، وقد استوعبت اللعبة :

ـ أخبره أن (ميتشا) يرسل إليه تحياته ، وسيفهم أنها خدعة .

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو ينهى اتصاله اللاسلكى ، قائلاً :

ـ وبالمناسبة .. (ميتشا) يرسل إليك تحياته .

هتف (أكرم) فى حماس ، عندما أنهى (نور) الاتصال :

ـ آه .. فهمت .. يا لها من خدعة عبقرية يا (نور) !

ثم لوَّح بذراعيه ، مستطردًا فى جذل :

ـ أكاد أتخيَّل ما يحدث الآن ... لقد التقط النازيون رسالتك حتمًا ؛ لأنك تبثُّها على نفس موجتهم ، وسيتصوَّرون أنهم يستطيعون إحباط خطتنا ، بإعادة الضغط على ذلك الزر .

أشار إليه (نور) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

قهقه (أكرم) ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ رباه ! هل تروا ما أراه بعين الخيال ؟! الجنرال (هملر) ينتزع الساعة من معصم (هولدشتاين) عنوة ، وهذا الأخير يصرخ محاولا تحذيره دون جدوى ، ثم يضغط (هملر) ذلك الزر ، و ....

تألقت عينا (طارق) ، وهو يشير بعينيه ، هاتفًا :

- وينطلق الحارس الآلى .

كان ينطقها ، فى نفس اللحظة التى اندفعت فيها تلك الكرة الذهبية ، خارج المقاتلة الزمنية ، وانقضَّت على النازيين المحيطين بها ..

ومع ضرباتها القاصمة ، الحاسمة ، هتف (أكرم) :

- هيا بنا .

انطلق أربعتهم يعدون نحو المقاتلة ، فى نفس الوقت الذى ركض فيه النازيون مبتعدين عنها ، وهتف (أكرم) فى حماس :

- لقد انتصرنا .. انتصرنا يا رفاق .

التقط الحارس الإليكترونى صوت (أكرم) ، فاستدار نحوه فى سرعة ، ولكن (طارق) هتف فى حماس :

- لا .. كلهم أصدقائى .

تراجع الحارس الآلى ، وراح يدور حول المقاتلة فى بطء ، ليحميها من أية محاولة اعتداء ، فصاح (طارق) بـ (نور) و (أكرم) :

- أسرعا .. اتخذا مجلسيكما .. سنقلع على الفور .

ثم التفت إلى (برجيت) فى تأثُّر ، قائلاً :

- (برجيت) .. لست أدرى ماذا أقول ، ولكن ..

وضعت أصابعها الرقيقة على شفتيه ؛ لتمنعه من الاستطراد ، قائلة :

- سيكون لدينا الكثير لنقوله ، فى أثناء رحلتنا عَبْر الزمن .

أزاح أصابعها ، هاتفًا :

- رحلتنا ؟! لا يا (برجيت) .. هذا مستحيل ! الله (سبحانه وتعالى) يعلم كم أتمنى هذا ، ولكن من الخطأ أن أنتزعك من عصرك وزمانك .

هزَّت رأسها ، قائلة :

- زمانى هو حيث تكون يا (طارق) .. لن يمكننى العيش دونك قط .

قال فى شىء من التخاذل :

- لن يكون من السهل عليك التعايش فى عصرى ، الذى يفصلك عنه قرن أو أكثر من الزمان .

ضحكت ، قائلة :

- بالتأكيد .. سيكون هناك الكثير لأتعلَّمه .

ثم مالت نحوه ، وتطلَّعت إلى عينيه مباشرة ، هامسة فى حب :

ـ وسأعتمد عليك تمامًا فى هذا .

التقت عيونهما بضع لحظات ، قبل أن يجذبها من يدها ، قائلاً فى حزم :

ـ هيا بنا .

وثبت داخل المقاتلة فى فرحة غامرة ، فابتسم (نور) فى حنان ، وهزَّ (أكرم) كتفيه ، وهو يغمغم :

ـ يا للنساء !

أما (طارق) ، فقد اتخذ مقعد القيادة ، وهو يقول فى حماس :

ـ الكل مستعد للإقلاع ؟!

أجابه (أكرم) :

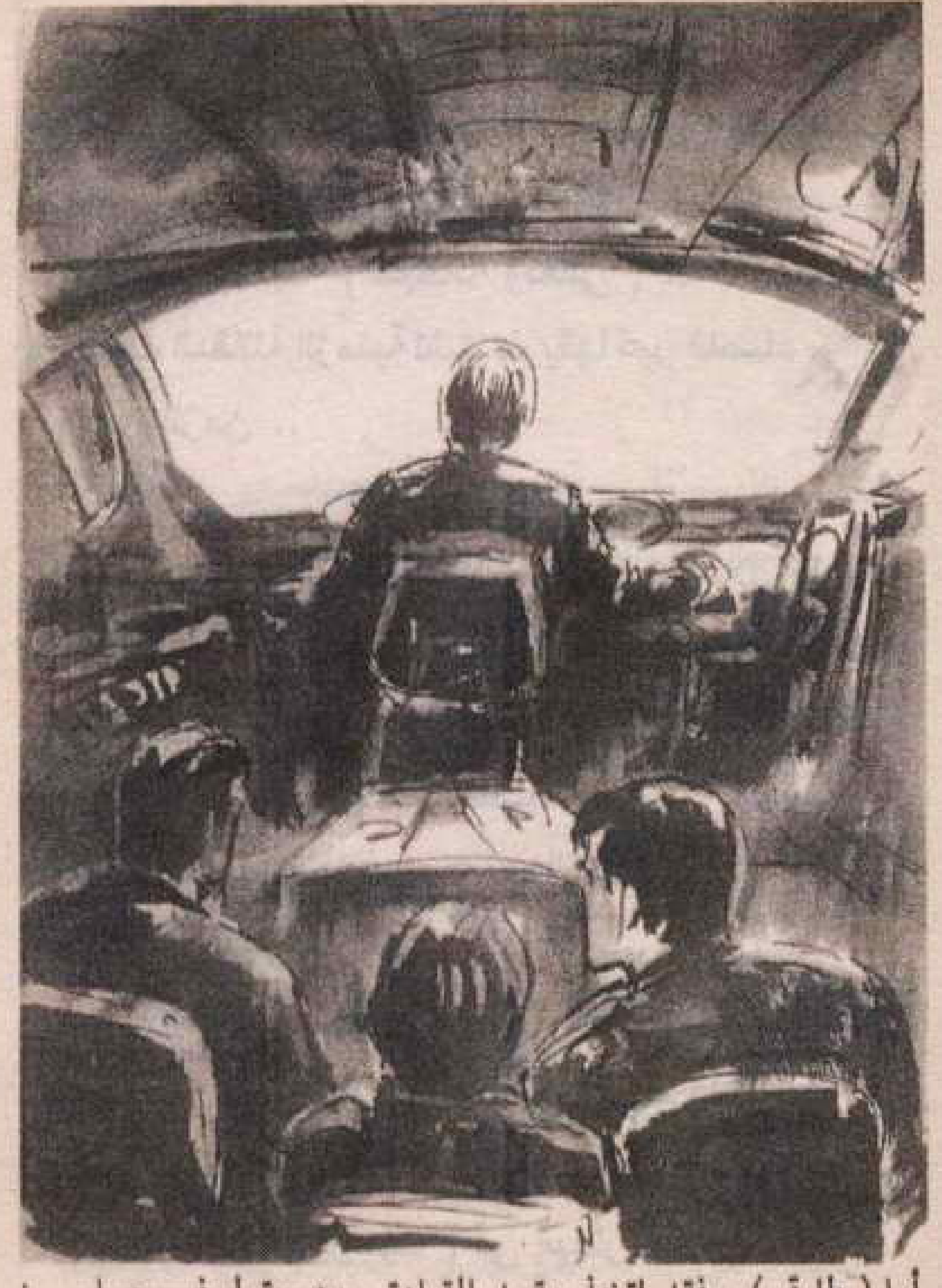
ـ نعم يا رجل .. أقلع بنا من هذا العصر الدموى .. هيا .

غمغم (طارق) وهو يدير أجهزة المقاتلة :

ـ لسنا ندرى إلى أى زمن ستقودنا رحلتنا هذه المرة .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

ـ لن يكون هناك ما هو أسوأ من هذا .



أما (طارق) ، فقد اتخذ مقعد القيادة ، وهو يقول فى حماس :

ـ الكل مستعد للإقلاع ؟! ..

ظهرت مقاتلتان ألمانيتان فى الأفق ، فى تلك اللحظة ، فجذب (طارق) ذراعًا صغيرة ، وهو يقول فى حزم :

ـ على بركة الله (سبحانه وتعالى) ..

وانطلقت المقاتلة الزمنية تشق طريقها عبر الفضاء ..

وعَبْر الزمن ..

★ ★ ★

الشمس أشرقت وغابت ألف مرة ، خلال ثوان معدودة ، وغاصت المقاتلة وسط عاصفة عاتية ، من مختلف الألوان ، وشعرت (برجيت) بضغط هائل على عنقها وصدرها ، فأطلقت صرخة رهيبة ، وانكمشت فى مقعدها فى رعب هائل ، و ....

وفجأة ، انتهى كل شىء ...

بلغت المقاتلة مجرى الزمن ، وتوقَّفت حركتها دفعة واحدة تقريبًا ، وراحت تسبح وسط ذلك الفراغ الأبيض اللانهائى ، الملىء بالثقوب السوداء .

واتسعت عينا (برجيت) فى انبهار ..

وساد صمت مهيب رهيب داخل المقاتلة ..

كان الجميع يديرون أعينهم فى تلك الثقوب السوداء ، المنتشرة وسط الفراغ الأبيض اللامحدود ، وهم يتساءلون : إلى أين ستأخذهم مقاتلة الزمن هذه المرة ..

إلى أى عصر ؟!

وأى زمن ؟!

ترى هل ستلقى بهم بين أنياب ديناصور عملاق ؟!

أم يواجهون المستقبل المجهول ؟!

هل سيقاتلون فى جيش (صلاح الدين الأيوبى) ، أم يواجهون غزاة من كوكب آخر ؟!

عشرات الأسئلة والتساؤلات التهمت عقولهم ، ومشاعرهم ..

بل وكيانهم كله ، دون أن تجرؤ ألسنتهم على البوح بما تموج به نفوسهم .

ثم قطع (طارق) ذلك الصمت المهيب ، وهو يغمغم :

ـ إلى اليمين أم إلى اليسار .

تمتم (نور) ، وهو يشير إلى الثقب المواجه مباشرة :

ـ ما زالت أفضل الخطوط المستقيمة ، التى ..

ثم بتر عبارته بغتة ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! انظروا هناك .

أدار الجميع عيونهم إلى حيث يشير ، وهتف (أكرم) بدوره :

ـ إنه ثقب أحمر .

أجابه (طارق) فى انفعال :

ـ ليس كذلك فحسب ، ولكنه يطلق أيضًا ذبذبة خاصة للغاية .

انعقد حاجبا (نور) لحظة ، قبل أن يهتف فى حماس :

ـ (سلوى) ؟!

ثم صاح ، مشيرًا إلى ذلك الثقب الأحمر :

ـ إلى هناك .. اتجه إلى ذلك الثقب مباشرة يا (طارق) .

سأله (طارق) فى لهفة ، وهو ينطلق بالمقاتلة نحو ذلك الثقب الأحمر بالتحديد :

ـ هل تعتقد أنها إشارة ؟!

أجابه (نور) فى حماس :

ـ إنها تبدو لى كذلك :

ثم هزّ كتفيه ، مستطردًا بابتسامة جذلة :

ـ ثم إننا لن نخسر شيئًا .

هتف (طارق) :

ـ بالتأكيد .

كان ذلك الثقب بعيد نسبيًا ، إلا أن لونه الأحمر كان يميّزه فى وضوح ، وسط عشرات الثقوب المحيطة به ، فانطلق (طارق) نحوه بأقصى سرعة ، تسمح بها محركات المقاتلة ، و ...

وفجأة ، وبلا مقدمات ، اختفى ذلك البريق الأحمر .. واستعاد الثقب لونه الأسود ، ككل الثقوب المحيطة به .

وفى توتر بالغ ، هتف (أكرم) :

ـ يا إلهى! ماذا حدث ؟!

أما (نور) و (طارق) ، فقد انعقدت حواجبهما فى شدة ، وهما يحدقان فى عشرات الثقوب السوداء أمامهما ..

وفى آن واحد تقريبًا ، أدرك كلاهما الحقيقة الجديدة ..

فمع تلك الحركة المستمرة ، لذلك الفراغ الزمنى ، ومع غياب اللون المتميِّز للثقب المنشود ، تصبح العودة إلى زمن (نور) مستحيلة !

مستحيلة تمامًا .

★ ★ ★



١٠ - الختام ..

اتسعت عينا (سلوى) ، حتى بلغتا حدها الأقصى ، وهى تنهار على أقرب مقعد إليها ، هاتفة فى ارتياع مذعور :

- لا .. لا .. مستحيل ! لا تخبرنى أننا قد فقدنا الوسيلة الوحيدة ، لإعادة (نور) إلى زمنه !

بدا الأسى على وجه الدكتور (ناظم) ، فأشاح به بعيدًا ، فى حين قال مسئول محطة البث الأرضية الرئيسية فى توتر :

- لم يكن بيدنا ما نفعله يا سيِّدتى .. الذبذبة التى ابتكرتها كانت قوية للغاية ، حتى إن الأجهزة العتيقة لم تحتملها ، فانهارت كلها دفعة واحدة .. لقد كان الأمر يحتاج إلى أجهزة أكثر تطوّرًا .

رددَّت فى انهيار :

- يا إلهى ! يا إلهى !

وهتفت (نشوى) :

- ولماذا لا نحضر هذه الأجهزة المتطوِّرة ؟!

تنهَّد الدكتور (ناظم) ، وقلب كفيه فى صمت ، فى حين أجاب (رمزى) فى أسى :

- هذا سيحتاج إلى ثلاثة أشهر على الأقل ، كما أكَّد لى الدكتور (ناظم) .

اتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ، وهى تهتف :

- ثلاثة أشهر كاملة ؟!

أجابها الدكتور (ناظم) هذه المرة :

- وما قيمة ثلاثة أشهر ، فى أمر يتعلَّق بالسفر عبر الزمن يا (سلوى) .. دعينا نؤدِّ العمل كما ينبغى هذه المرة ، حتى لا نتعرَّض لفشل كهذا ثانية .

احتوت (سلوى) رأسها بين كفيها ، وهزَّته فى قوة ، قائلة فى مرارة :

- ثلاثة أشهر كاملة ؟! هل سنتركهم يواجهون الخطر ، طوال ثلاثة أشهر كاملة ؟! من يدرى ما الذى يمكن أن يحدث ، فى فترة كهذه ؟!

هتف فى عصبية :

- ربما كانت هذه الأشهر الثلاثة بمثابة يوم واحد ، بالنسبة لهم .

هزَّت رأسها مرة أخرى فى قوة ، قائلة :

- خطأ .. خطأ .

وتهنَّد (رمزى) ، قائلاً :

- لقد توصَّلت إلى نظرية جديدة .

قال الدكتور (ناظم) فى حدة :

- نظرية لم تثبت صحتها بعد .

هتفت به (سلوى) :

- يكفى أن المعادلات الرياضية تؤكِّدها :

أجابها فى حزم :

- مازلنا نحتاج إلى دليل واحد .

هتفت :

- مثل ماذا ؟!

أجاب فى صرامة .

- أى دليل .. وليكن حتى مجرَّد ..

« أنا (نور) .. هل يسمعنى أحدكم ؟! »

انطلقت العبارة بغتة ، عَبْر جهاز الاتصال الخاص بالفريق ، فاتسعت عيون الجميع ، وران عليهم صمت مباغت ، كرَّر (نور) خلاله :

- من (نور) إلى الفريق .. هل يمكنكم التقاط رسالتى هذه ؟!

صرخت (نشوى) ، وهى تقفز نحو جهاز الاتصال :
- أبى !
وانتفض جسد الدكتور (ناظم) فى عنف ، فى حين اتسعت عينا (رمزى) ومسئول المحطة الأرضية عن آخرهما .
أما (سلوى) ، فقد احتوت رأسها بين راحتيها مرة أخرى ، وتركت الدموع تنهمر كالسيل من عينيها ، وهى تتمتم فى انفعال جارف :
- كنت أعلم أنه سيعود .. كنت أعلم هذا .
وبكل ما تموج به نفسها ، هتفت (نشوى) ، عَبْر جهاز الاتصال ، ودموعها تغمر وجهها :
- أبى .. حمدًا لله على سلامتك يا أبى .. كم تسعدنا عودتكم .
أجابها صوت والدها فى مرح :
- الفضل يعود ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ، إلى المهارة المدهشة لـ (طارق) .. لقد انطلق بالمقاتلة كأفضل طيَّار فضائى رأيته ، فى حياتى كلها ، واستطاع تعقُّب ذلك الثقب ، الذى أرسلتم إليه الإشارة ، وسط عشرات الثقوب الأخرى ..

بكت (سلوى) فى حرارة أكثر ، وهى تتمتم :
- حمدًا لله .. حمدًا لله .
ومع آخر حروف كلماتها ، التقطت أجهزة الرادار المقاتلة الزمنية ، وهى تخترق الغلاف الجوى الأرضى ، فى طريق العودة من أخطر مهمة عرفها الإنسان ، عبر التاريخ ..
وعبر الزمان ..

★ ★ ★

انبعث ضوء بنفسجى هادئ ، يغمر ذلك المصعد الزجاجى الأسطوانى ، وهو يهبط داخل مقر المخابرات العلمية المصرية ، إلى حيث مكتب القائد الأعلى ، الذى نهض خلف مكتبه ، مع ابتسامة هادئة على شفتيه ، ليستقبل (طارق) ، الذى أدَّى التحية العسكرية التقليدية ، قبل أن يقول :
- الملازم (طارق) فى خدمتك يا سيِّدى .
ابتسم الدكتور (ناظم) بدوره ، قائلاً :
- استرخ يا (طارق) .. إنك لا تنتمى عمليًا لجهاز المخابرات هذا ، وإنما لمثيله فى العصر المقبل .
شدَّ (طارق) قامته ، فى وقفة عسكرية ، وهو يقول :

- إننى أعمل من أجل (مصر) ، فى أى مكان وزمان يا سيِّدى .

هزّ القائد الأعلى رأسه فى إعجاب ، مغمغمًا :

- خير خلف لخير سلف .

ثم اعتدل بدوره ، قائلاً :

- لقد أديت مهمتك بنجاح أيها الملازم ، ونحن نعتذر لك عن كل المتاعب ، التى واجهتها بسببنا هنا .

قال (طارق) :

- لا عليك يا سيِّدى القائد .. أنا الذى يعتذر ، وبشدة ، عن كل ما سببته مقاتلتى لكم من متاعب ، ولكننى أقسم إن كل هذا لم يكن مقصودًا .

أجابه القائد الأعلى :

- بالتأكيد يا ولدى .. نحن واثقون من هذا .

ثم تبادل نظرة صامتة مع الدكتور (ناظم) ، قبل أن يتابع :

- إننا ندرك جيدًا لماذا كنت مضطرًا لإخفاء أمرك ، فمن الخطر أن تعلمنا بأمر يتعلّق بالمستقبل ؛ إذ إن معرفتنا له قد تؤدى إلى تغيير التاريخ كله ، مما قد يعرِّض مستقبلنا كله لخطر أكبر .

أجابه (طارق) فى ارتياح :

- هذا صحيح يا سيِّدى .

ابتسم القائد الأعلى ، قائلاً :

- ولكن المصادفة قادتنا إلى معرفة سر آخر ، يتعلّق بالمستقبل .

أطلّ التساؤل من عينيه ، فأضاف الدكتور (ناظم) ، وهو يشعل جهاز الكمبيوتر :

- لقد أجرينا مقارنة عامة ، بين بصمتك الجينية ، وبصمات كل العاملين هنا .

تطلّع (طارق) فى صمت إلى الشاشة ، قبل أن يخفض عينيه ، قائلاً :

- إذن فأنتم تعلمون .

وضع القائد الأعلى يده على كتفه ، قائلاً فى تأثر :

- لا يمكنك أن تتصوَّر كم أسعدنى هذا ، ولكن ثق بأن الأمر سيظل سرًّا مطلقًا .

ابتسم (طارق) ابتسامة باهتة ، مغمغمًا :

- أشكرك يا سيِّدى .

غلّف الصمت المكان بضع لحظات ، والثلاثة يعجزون عن النطق ، من فرط التأثر ، قبل أن يكسر الدكتور (ناظم) هذا الصمت ، قائلاً :

ـ ستعود الآن إلى زمنك .. أليس كذلك ؟!

عاد (طارق) يبتسم ، قائلاً :

ـ بلى .. كان هذا فى حكم المستحيل ، لولا ما توصَّل إليه الفريق .

أجابه القائد الأعلى :

ـ بالتأكيد ، فالخريطة الجديدة ستساعدك على العودة إلى زمنك مباشرة ، بلا أدنى متاعب .

وسأله الدكتور (ناظم) فى اهتمام :

ـ هل ستصحب معك (برجيت) ؟!

أومأ (طارق) برأسه إيجابًا ، وهو يبتسم فى سعادة ، فاستدرك الدكتور (ناظم) فى لهفة ملحوظة :

ـ وفارس الزمن الثانى أيضًا ؟!

أجابه (طارق) :

ـ بالتأكيد .

سأله فى لهفة أكثر :

من هو ؟!

صمت (طارق) بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، قائلاً :

ـ فلنترك هذا لحينه يا دكتور (ناظم) .

ثم شرد ببصره ، مضيفًا :

ـ المهم أن المهمة قد انتهت بنجاح ... وبلا خسائر .

ولم يعقِّب أحدهما بحرف واحد .

لقد انتهت مهمته بالفعل ..

وبنجاح ..

★ ★ ★

ضمَّ (أكرم) زوجته (مشيرة) إليه فى حنان ، وهو يصافح (طارق) فى حرارة ، قائلاً :

ـ لست أدرى ماذا أقول يا صديقى .. لقد أسعدنى العمل معك كثيرًا ، على الرغم من كل الأهوال ، التى خضناها معًا .

ابتسم (طارق) ابتسامة كبيرة ، قائلاً :

ـ من المؤكَّد أننى أكثركم سعادة .

ثم أدار عينيه فى وجوههم جميعًا ، قبل أن يضيف فى تأثُّر واضح :

ـ يكفى أننى رأيتكم شخصيًّا ، وعملت معكم جنبًا إلى جنب .

وتوقَّفت عيناه عند (نشوى) ، وهو يتابع فى حنان حزين :

- ولن يمكنك أن تتصوَّرى مدى سعادتى برؤيتك أنت بالذات يا (نشوى) ، فلم أكن أتصوَّر أن يتاح لى هذا قط .

غمغمت فى دهشة :

- حقًا ؟!

ثم استدركت فى فضول قلق :

- ولماذا أنا بالذات ؟!

ابتسم دون أن يجيب ، والتفت إلى (برجيت) ، يربِّت على كتفها فى رفق ، قائلاً :

- هيا .. اتخذى مقعدك داخل المقاتلة .. سنقلع بعد قليل .

منحته أعذب ابتساماتها ، قبل أن تقول :

- صدقونى .. أنا أيضًا سأفتقدكم جميعًا .

قالتها ، وهى تغالب دموعها ، ووثبت داخل المقاتلة ، لتخفى انفعالها ، فتساءل الدكتور (ناظم) فى لهفة :

- وماذا عن فارس الزمن الثانى ؟!

أتاه صوت من خلفه ، يقول :

- هأنذا يا دكتور (ناظم) .

التفت بكل لهفته وفضوله إلى مصدر الصوت ، قبل أن يهتف فى ذهول :

- دكتورة (إلهام) .

ابتسمت (إلهام) ، وهى تتجه نحو المقاتلة مباشرة ، قائلة :

- لا تجعل هذا يدهشك .. أنت لجأت إلىَّ ، ولست أنا من عرض خدماته .

ثم التفتت إليه بابتسامة أكبر ، مضيفة :

- وبالمناسبة ! عندما اخترقت شبكة أمن الرياسة السرية ، لم أكن أحاول الاستيلاء على ما لديكم من معلومات ، بل كنت أضيف إليها بعض الحلول ، الخاصة بمشكلات السفر ، عبر الفضاء والزمن .

وغمزت بعينيها ، مستطردة :

- هذا قانونى تمامًا .. أليس كذلك ؟!

وأطلقت ضحكة مرحة ، وهى تتخذ مكانها داخل المقاتلة ، فهتف الدكتور (ناظم) ، ولم يفارقه ذهوله بعد :

- رباه ! من يصدِّق هذا ؟!

ابتسم (طارِق) ابتسامة هادئة ، ثم شدَّ قامته ، وتنحنح ، قائلاً :

- لقد حانت لحظة الرحيل .

بدا التأثُّر واضحًا على الجميع ، وصافحه (رمزى) ، مغمغمًا :

- لن ننساك أبدًا .

ربَّت (طارق) على كتفه ممتنًا ، وصافح (نشوى) فى صمت ، دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة ، ثم التفت إلى (سلوى) ، التى صافحته فى حنان بالغ ، وهى تسأله :

- قل لى : ما اسمك الحقيقى ؟!

اتسعت ابتسامته كثيرًا ، وهو يجيب :

- (طارق) هو اسمى الحقيقى .

هتفت :

- حقًا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، ثم مدَّ يده إلى (نور) ، الذى صافحه فى حرارة بالغة ، قائلاً :

- لقد نطق (رمزى) بالحقيقة .. إننا لن ننساك أبدًا .

ثم سأله فى اهتمام :

- ولكن هل أنت واثق من أن عصرك سيدرك نجاح مهمتك ؟!

ارتفع حاجبا (طارق) ، وتطلَّع إليه طويلاً فى صمت ، دون أن ينبس ببنت شفة !!

طويلاً جدًا ..

ولأوَّل مرة فى حياته ، وبينما كان يتطلَّع إليهما فى صمت مماثل ، أدرك (أكرم) كم يتشابهان ..

(نور) و (طارق) ..

ولأوَّل مرة فى حياته أيضًا ، لم يعبِّر عما يدور فى أعماقه ، واكتفى بالصمت ..

الصمت الذى لم تقطعه كلمة واحدة ، حتى استقلَّ (طارق) مقاتلته الزمنية ، وانطلق بها لتشق الغلاف الجوى ، وتختفى فى مجرى الزمن ، ليبدأ رحلة زمنية جديدة ..

رحلة العودة إلى عصره ..

ولشدة تأثُّرها ، انفجرت (سلوى) باكية ، وهى تهتف :

- يا إلهى ! كم أفتقده .

احتواها (نور) بين ذراعيه ، وراح يربِّت على ظهرها فى حنان بالغ ، فى حين قالت (نشوى) ، وهى تشاركها دموعها الغزيرة :

- أماه ! هذا التأثُّر الشديد لا يناسب حملك .

وقال (رمزى) :

- هذا صحيح يا (سلوى) .

كان (أكرم) أكثرهم تـأثُّرًا ، إلاَّ أنـه قـاوم تلك العاطفة فى أعماقه ، وقال محـاولاً إدارة دفة الحديث بعيدًا :

- الفحوصات الأوَّلية تقول : إنك ستنجبين ذكـرًا يا (سلوى) .. ترى أى اسم ستطلقين عليه .

هتفت فى سرعة وحماس :

- (طارق) .

وهنا أشاح الدكتور (ناظم) بوجهه ؛ ليخفى ذلك الانفعال الجارف ، الذى حفر خطوطه على ملامحه وكيانه ..

هذا لأنه الوحيد ، بين كل الحاضرين ، الذى يعرف السر ..

سر الفارس ...

فارس الزمن .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

الفارس الثانى

- كيف يواجه (نور) ورفيقاه قوة الجنرال (هولدشتاين) عبر الزمن ؟!
- ماسر فارس الزمن الثانى، الذى نجح فى اختراق شبكة أمن الرياسة السرية ؟!
- ترى لمن يكون النصر هذه المرة ؟ وهل ينكشف سر (الفارس الثانى) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل المستقبل.



العدد القادم : المجهول



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

120

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم